گۆڤارا ئەکادیمی یا زانکویا نەوروز (المجلة الأكاديمية لجامعة نوروز)، پ.١٤ ژ.١، ٢٠٢٥
https://doi.org/10.25007/ajnu.v14n1a149
حقوق الطبع والنشر ©2017. هذه مقالة الوصول اليها مفتوح موزعة تحت رخصة المشاع الابداعي النسبي – CC BY-NC-ND 4. 0، e-ISSN: 2520-789X

عالم مابعد الكورونا وأثره على مستقبل العلاقات الدولية

شيرزاد سليمان عبدالله، قسم تقنيات الإعلام، الكلية التقنية الإدارية، جامعة أربيل التقنية، أربيل، اقليم كوردستان، العراق

الملخص

إن العالم من منظور العلاقات الدولية عالم ذو طابع خاص يتميز بالحركة والديناميكية نتيجة الأحداث السريعة والمتلاحقة التي تحدث فيها ، وأن ظهور الكورونا كفايروس عالمي عابر للقارات في نهاية العقد الأول وبداية العقد الثاني من الألفية الثالثة قد قسّم العالم إلى حقبتين تاريخيتين منفصلتين ومتصلتين في آن واحد معاً ، ألا وهي عالم ماقبل الكورونا وعالم مابعد الكورونا ، حيث أن العالم الأول كان له إمتدادات وإنعكاسات على العالم الثاني بكل ماتحمله من مضامين وأبعاد مختلفة ، إنعكست بشكلٍ غير متوقع على إعادة هيكلة العلاقات الدولية من منظور صحي إلى منظور وإتجاهات جيوسياسية وإستراتيجية وأمنية وإقتصادية وإجتماعية وثقافية وتكنولوجية ، وهذا الأمر يتوجب كيفية التعامل والتعاطي مع الواقع الجديد في عالم مابعد الكورونا بحكمة وتأني وعقلانية مدروسة .

إن حقبة فايروس الكورونا التي تعتبر إنعطافة تاريخية مهمة في تاريخ العلاقات الدولية فرض أمراً واقعاً غير مألوف لم يكن وارداً التكهن به ، ألا وهو التباعد الإجتماعي خشية إنتقال الوباء صحياً ، وتقليص حجم التعامل الدولي بين الدول والكيانات السياسية الدولية والفواعل من غير الدول سياسياً ، كل هذا الأمر كان بتوجيه ورعاية منظمة الصحة العالمية كأكبر فاعل مؤثر من غير الدول على مستوى الفكر والممارسة على مرّ التاريخ أن يستطيع إحكام السيطرة على العالم في كل مناحي الحياة،بشكلٍ أصبحت الحياة شبه متوقفة أن لم نقل كان متوقفة تماماً ، وهذا الأمر أدى التفكير ملياً في كيفية سبل التعامل مع الواقع الجديد وإنعكاساته الجيوسياسية .

وبعد أن إنتهت تلك الفترة العصيبة بتراجع إنتشار الفايروس التي أدت إلى شلل الحياة في العالم بأسره ، أصبح العالم على مفترق طرق في كيفية إعادة الحياة الطبيعية وفق منظور ورؤى وإستراتيجيات جديدة لبداية مرحلة مهمة في تاريخ العلاقات الدولية ألا وهي عالم مابعد الكورونا وما تلتها من تداعيات أثرت أو ستؤثر على مستقبل العلاقات الدولية.

الكلمات الدالة : العالم ، الفايروس ، الكورونا ، المستقبل ، العلاقات الدولية .

1. المقدمة

إن عالم مابعد الكورونا عالم مستحدث ، بكونه العالم إنقسم إلى حقبتين مختلفتين من حيث الشكل والمضمون والأبعاد، وما يميز هذا العالم هو عالم معقد متشابك ومترابط ومتناقض في آن واحد ، إلا أن الثابت فيه هو المتغير في كل المجالات والأصعدة ، حيث أصبح التغيير سمة العالم الموبوء ، لذلك فإن عالم اليوم هو عالم المابعديات ، وهو عالم غير مكتمل المعالم ، وأمام مفترق طرق ، منها إعادة هيكلة السياسة الدولية من منظور جديد ، حيث أن ماكان مألوفاً في حقبة الكورونا هو التباعد الإجتماعي من منظور صحي ، إلاّ أن عالم مابعد الكورنا أثبت عكس ذلك تماما ، بشكل أصبح التقارب السياسي سمة مميزة وإنعكس الأمر على المجالات والأصعدة الأخرى ، مما يتطلب إعادة صياغة خارطة العلاقات السياسية الدولية ، بشكل يكون عالم مابعد مابعدالكورونا أكثر تماسكاً من ذي قبل ، وأن ما يمكن تلمسه في مستقبل العلاقات الدولية عالم غير مكتمل المعالم وأنه في طور التبلور دون أن يكون له إطار إستراتيجي معلوم ومفهوم على صعيد السياسة والعلاقات الدولية .

إن دبلوماسية الكورونا دبلوماسية مبتكرة مستحدثة جاءت نتيجة ظهور فايروس الكورونا في بداية شهر كانون الأول / ديسمبر عام 2019 في مدينة وهان الصينية كحالة طبية ومن ثم تطورت إلى ظاهرة عالمية إنتشرت بسرعة فائقة في كل أرجاء العالم ، فالفايروس بدأ طبياً وصحياً الذي هو شأن المتخصصين في عالم الطب والصحة ثم إمتد لتشمل كل ميادين الحياة الإقتصادية والإجتماعية والسياسية والثقافية والصحية ، وإن تغلغل الفايروس إلى كل مناحي الحياة أدى إلى أن ينقسم العالم إلى حقبتين مختلفتين ، حقبة ما قبل الكورونا وحقبة مابعد الكورونا ، وأن مايميز كورونا عن غيره من الفايروسات والأمراض والأوبئة كونها عابرة للكون والقارات والدول ، أي أنها أصبحت عالمية الطابع إن لم نقل كونية ، وحملت معها أبعاد ومضامين كثيرة متعددة ومختلفة خصوصاً في مجال إختصاصنا الا وهو العلاقات الدولية والدبلوماسية ، لذلك يمكننا ربط الكورونا بالدبلوماسية ، فدبلوماسية الكورونا دبلوماسية كونية عالمية معولمة تتميز بالعديد من الخصائص عدة منها ، ظاهرة غير مكتملة المعالم والأبعاد وذات نفوذ وتأثير وترابط وتشابك معقد في مختلف الأصعدة و المجالات مع غياب الفاعل أو الفواعل من الدول من جهة، وبروز فاعلين أو فواعل جديدة من غير الدول من جهة أخرى، ولكن المفعول به أو فيه هو الإنسان الذي يلعب دور المدافع و المهاجم والمقاوم والحامي في نفس الوقت.

إن عالم اليوم الموبوء كورونياً أمام مفترق طرق ، منها إعادة هيكلة خارطة العلاقات الدولية والدبلوماسية من منظور طبي صحي وينعكس على البعد الإنساني العالمي في المقام الأول ، ومنها إلى الإقتصادي السياسي الدولي بالمقام الثاني ، ومنها إلى الأبعاد الأخرى ، وكذلك إعادة صياغة مفاهيم قديمة حديثة جديدة ، منها المابعديات ، ومن أولويات المابعديات كورونياً ما بعد الإنسانية في العلاقات الدولية ، وكذلك ظهور مضامين جديدة تتعلق بالقيم الروحية ، بعيدا عن التناغم العاطفي المقرون بالتقارب الجسدي ، وإعادة ترتيب الأولويات في السياسة الدولية بعقلانية راسخة مبنية على التعمق في الفكر والرؤى ، وتحديد الأهداف بدقة متناهية ، والتكيف مع المستجدات سواءً كانت متوقعة أو طارئة على المستوى الدولي .

لذلك نحاول في هذا البحث تسليط الضوء على دبلوماسية الكورونا وأثرها على مستقبل العلاقات الدولية والدبلوماسية على حد سواء من حيث الشكل والمضمون والأهداف والتداعيات والنتائج ، إذ أن كل مجال يلقي بظلاله على المجالات والأصعدة الأخرى ، بحيث من الصعب إن لم نقل من المستحيل التكهن بإفرازات كل من الأسباب والنتائج والدوافع ، بسبب حداثة الموضوع من جهة وعدم إكتمال معالمه من جهة أخرى .

1.1. إشكالية البحث :

بروز دبلوماسية الكورونا أدى إلى ظهور العديد من التناقضات في مجال العلاقات الدولية والدبلوماسية على مستوى الفكر والممارسة والتي أدت إلى هيكلة هذه العلاقات وإعادة تنظيمها وترتيب أولوياتها من جديد .

2.1. فرضية البحث :

إن دور وتأثير ونفوذ الفايروس كفاعل مجهول إدى إلى ظهور فاعل معلوم من غير الدول ألا وهي منظمة الصحة العالمية بإعادة رسم وتخطيط السياسات الدولية من جهة وتبوئه زمام السيادة الدولية في المنظومة الكونية مقترناً بكيفية إعادة توزيع الأدوار بين الفاعلين من غير الدول من جهة والدول من جهة أخرى.

(Received: January 23, 2025; Accepted: June 12, 2025; Online: July 21, 2025)

1.2. تساؤلات البحث :

حاولنا في هذا البحث الإجابة على جملة من التساؤلات منها :

- هل أن فايروس كورونا ظهر بشكل مفاجي أم مصطنع ؟
- ما هي أبرز توقعات ظهور فايروس الكورونا ؟
- ما هي أهم تداعيات فايروس الكورونا وإنعكاستها على العلاقات الدولية ؟
- ما هي أبرز التحديات التي تواجهها المنظومة الدولية في ظل فايروس الكورونا ؟
- ما هو أبرز الفرص التي أتاحتها الكورونا لإعادة هيكلة العلاقات الدولية ؟
- هل أن العالم في ظل فايروس الكورونا هو نهاية التاريخ ؟ أم العودة إلى التاريخ ؟
- هل أن فايروس الكورونا أعاد ترتيب مستقبل القوة في العلاقات الدولية ؟ ولمن تكون القوة ؟ للصحة ؟ الإقتصاد ؟ التكنولوجيا ؟ أم ماذا ؟
- ما الأبعاد التي يمكن أن تستند عليها دبلوماسية الكورونا ؟
-- ما المستويات التي تبنى عليها دبلوماسية الكورونا ؟
- كيف يمكن أن تؤثر دبلوماسية الكورونا على العلاقات الدولية والدبلوماسية على حد سواء ؟
- ما الميادين التي تمارس فيها عمل دبلوماسية الكورونا ؟
- ما هو أبرز خصائص دبلوماسية الكورونا؟
- ما هي أهم توجهات نماذج دبلوماسية الكورونا ؟
- ما هي أبرز مجالات دبلوماسية الكورونا؟
- هل سيقود عالم مابعد كورونا الى التغيير في موازين القوى وإعادة صياغة العلاقات الدولية وفق أسس ومعايير جديدة ؟
- هل ستؤدي أثار الوباء العالمي الى إعادة رسم الخارطة السياسية للعالم كما فعلت الحروب العالمية بما يؤدي الى نظريات وتطبيقات جديدة في حقل العلاقات الدولية ؟
- هل سيصبح العالم أكثر أمناً وإستقراراً، أم سيبقى في دوامة الأزمات وماهي أنماط الدبلوماسية التي تدير بواسطتها علاقاتها الدولية ؟

4.1 . أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث بكونه يسلط الضوءعلى موضوع بالغ الأهمية، ألا وهو بلورة مفهوم دبلوماسية الكورونا من حيث الشكل والمضمون والملامح ، إذ أن المصطلح بحد ذاته مخترع ومبتكر وأن خاصية عالم اليوم هو التغيير السريع والمتلاحق للأحداث والظواهر العالمية التي تظهر على الملاء بشكل مفاجيء وخارج عن التوقعات ، والتي أصبحت في ظله العالم تحت وطأة المجهول المعلوم.

5.1. أهداف البحث :

يهدف البحث إلى التركيز على نشوء كورونا كفايروس ومن ثم إنتشاره وتطوره كوباء عالمي ، وما له من تأثيرات على الأبعاد والمجالات الأخرى ، خصوصا العلاقات الدولية والدبلوماسية ، نتيجة تقسيم العالم إلى حقبتين مختلفتين من حيث الشكل والمضمون والأهداف والتداعيات ، إذ أن عالم ما قبل كورونا يختلف عن عالم ما بعد كورونا ، بسبب ظهور فواعل جديدة من حيث المهام والأداء والأدوار والتداعيات من جهة وأفول فواعل أخرى من جهة أخرى ، علاوة على أن عالم مابعد كورونا عالم غير مكتمل المعالم ، ولكن ملامحه الأساسية يلوح في الأفق بأن مستقبل الواقع الدولي وتطورات الأحداث والمستجدات المتسارعة في الزمكان كورونياً ، تبرهن بأن العالم الجديد عالم لم يكن العالم الذي يمكن التكهن به على مختلف المستويات والأصعدة التي تتحكم بمصير ومستقبل الإنسان ذلك الكائن الذي كان في السابق معلوماً ومخبراً، أما الآن فصاعداً بفضل مستجدات الكورنا أصبح مجهولاً بدرجةٍ كبيرة في المصير ومسيراً إنسانياً ومن ثم صحياً وسياسياً ودولياً.

6.1. منهجية البحث :

لقد تم إعتماد العديد من المناهج العلمية والأكاديمية في هذا البحث ، منها المنهج التاريخي والمنهج الوصفي و المنهج التحليلي للمضمون والمنهج المقارن ومنهج الإستشراف المستقبلي.

7.1. هيكلية البحث :

تنقسم هيكلية البحث إلى مبحثين وفق نظام الترقيم فضلاً عن المقدمة والخاتمة والإستنتاجات والتوصيات، ففي المبحث الأول من متن البحث تم التطرق إلى وباء كورونا: النشوء والتداعيات، حيث نبين في المطلب الأول ظهور وانتشار كورونا: من الفايروس الى الوباء، بينما نحدد في المطلب الثاني: كورونا: التداعيات والتوقعات، أما في المبحث الثاني فقد جاءلتسليط الضوء على أزمة العلاقات الدولية وآفاقها في ظل دبلوماسية الكورونا، إذ نحدد في المطلب الاول: التحديات التي تواجه عقلنة العلاقات الدولية، بينما نبين في المطلب الثاني: الآفاق والفرص المستقبلية أمام العالم ودور دبلوماسية الكورونا في تحقيقها ، ومن ثم عرض جملة من الإستنتاجات التي توصلنا إليها من خلال البحث لإفادة الأكاديميين والباحثين والمتخصصين والدارسين وصناع القرار، كالآتي:

2 . وباء كورونا : النشوء والتداعيات

2. 1 . ظهور وانتشار كورونا : من الفايروس الى الوباء

2. 2 . كورونا :التداعيات والتوقعات

3. العلاقات الدولية وآفاقها في ظل دبلوماسية الكورونا

3. 1. التحديات التي تواجه عقلنة العلاقات الدولية

3. 2 . الآفاق المستقبلية ودور دبلوماسية الكورونا في تحقيقها

2 . وباء كورونا : النشوء والتداعيات

إن بحث ودراسة وباء وفايروس كورونا من حيث النشوء والظهور والإنتشاروالتداعيات والتوقعات يحتاج إلى إجراءات مستفيضة علمية وأكاديمية رصينة للوصول إلى نتائج معللة ، لذلك نحاول التطرق إليها من خلال مطلبين كالآتي :

2. 1 . ظهور وانتشار كورونا : من الفايروس الى الوباء

نحاول بيان اهم مراحل ظهور وإنتشار فايروس كورونا ومن ثم تحوله إلى وباء من خلال فرعين ولكن قبل ذلك نبين دبلوماسية الكورونا كالآتي :

دبلوماسية الكورونا : وهي مصطلح مبتكر مستحدث جاءت نتيجة ظهور فايروس كورونا كوباء عالمي وإنتشاره بسرعة فائقة في معظم أنحاء العالم ، مما أصاب المجتمع الدولي بصدمة وهلع كبيرين إضافة إلى الإرباك الذي عمّ العالم بكل كجالات الحياة ، إن ربط الكورونا كفايروس بالدبلوماسية هي نتيجة ترابط الجانب الإنساني الصحي ، بالجانب السياسي الدولي ، إذ أصبح بموجبها النظام السياسي الدولي والعلاقات السياسية الدولية والدبلوماسية عاجزة عن اداء مهامها ، بسبب تغلغل الفايروس في كل مجالات الحياة برمتها من جهة وهيمنة البعد الإنساني على الأبعاد الأخرى ، مما أدى إلى تراجع السيادة الدولية في المجتمع الدولي ، وتبوأ السيادة الصحية والإنسانية المركز الأول بقيادة فاعل مؤثر من غير الدول متمثلة بمنظمة الصحة العالمية ، والتي كانت تقوم برسم إستراتيجية الإطار العام لسياسة المنظومة الكونية من خلال البعد الصحي – الإنساني ، حيث أن الدول كانت تؤدي دور المنفذ لهذه السياسة والإستراتيجية دون أن يكون لها أي رأي يذكر.

تحتوي دبلوماسية الكورنا في مضامينها مجموعة أنماط من الدبلوماسية منها الدبلوماسية الصحية و الدبلوماسية الإستباقية والدبلوماسية الإحترازية والدبلوماسية الإحتوائية والدبلوماسية الوقائية والدبلوماسية السلوكية والدبلوماسية الإنسانية، حيث أن دبلوماسية الكورونا عبارة عن إدارة السلوك من خلال العقل أي تعقيم العقول وتعديل السلوك وتقويم العلاقات والروابط وإعادة هيكلتها وترتيب أولوياتها بدأً من العلاقات الذاتية والشخصية الإنسانية السرية والعلنية والخاصة والعامة وإنتهاءاً بالعلاقات الدولية والدبلوماسية وتديردبلوماسية الكورونا عن طريق دبلوماسية إدارة الأزمات بعقلانية و واقعية ومنطقية من أجل تفادي الكارثة وإنقاذ البشرية من خطرٍ كبير.

2. 1 . 1 . كورونا : الظهور كفايروس : تعد فيروسات كورونا فصيلة كبيرة من الفيروسات التي تسبب اعتلالات تتنوع بين الزكام وأمراض أكثر وخامة، مثل متلازمة الشرق الأوسط التنفسية (MERS-CoV)، ومتلازمة الالتهاب الرئوي الحاد الوخيم (سارس) (SARS-CoV). ويُمثِّل فيروس كورونا المستجد (nCoV) سلالة جديدة لم يسبق تحديدها لدى البشر من قبل.

وتعد فيروسات كورونا حَيَوانِيّة المَصْدَر، ويعني ذلك أنها تنتقل بين الحيوانات والبشر. وتوصَّلت الاستقصاءات المستفيضة إلى أنَّ فيروس كورونا المسبب لمتلازمة الالتهاب الرئوي الحاد الوخيم (سارس) قد انتقل من سَنَانير الزبَّاد إلى البشر، بينما انتقل فيروس كورونا المسبب لمتلازمة الشرق الأوسط التنفسية من الجمال الوحيدة السنام إلى البشر. وينتشر العديد من فيروسات كورونا المعروفة بين الحيوانات، ولم تُصِب البشر بعد.

وتشمل الأعراض الشائعة للعدوى أعراضًا تنفسية والحمى والسعال وضيق النفس وصعوبات في التنفس. وفي الحالات الأكثر وخامة، قد تسبب العدوى الالتهاب الرئوي، ومتلازمة الالتهاب الرئوي الحاد الوخيم، والفَشَل الكُلَوِيّ، وحتى الوفاة. وتشمل التوصيات الموحدة للوقاية من انتشار العدوى: غسل اليدين بانتظام، وتغطية الفم والأنف عند السعال والعطس، وطهي اللحوم والبيض جيدًا. بالإضافة إلى تجنب مخالطة أي شخص تبدو عليه أعراض الإصابة بمرض تنفسي، مثل السعال والعطس(1).

وذكرت منظمة الصحة العالمية مجموعة نصائح للجمهور بشأن مرض فيروس كورونا (كوفيد-19) فيما يلي التوصيات النموذجية الصادرة عن منظمة الصحة العالمية للجمهور من أجل الحدّ من التعرض لمجموعة من الأمراض ونقلها، " بما يشمل نظافة اليدين والنظافة التنفسية وممارسات الغذاء المأمونة(2): نظف اليدين باستمرار بفركها بمطهر كحولي أو غسلها جيداً بالماء والصابون عند السعال والعطس، احرص على تغطية الفم والأنف بمرفقك المثني أو بمنديل ورقي، وتخلص من المنديل بعد ذلك فوراً واغسل يديك ، تجنب الاقتراب من الأشخاص المصابين بالحمى والسعال ، إذا كنت مصابا بالحمى والسعال وصعوبة التنفس، التمس العناية الطبية مبكراً وأطلع مقدم الرعاية على أسفارك السابقة ، عندما تزور أسواق المنتجات الحية في مناطق تشهد حالات عدوى بفيروس كورونا المستجد، تجنب اللمس المباشر للحيوانات الحية والأسطح التي تلامس تلك الحيوانات ، تجنب تناول المنتجات الحيوانية النيئة أو غير المطهوة جيداً. وينبغي التعامل مع اللحوم النيئة أو الحليب الخام أو أعضاء الحيوانات بعناية تامة لتفادي انتقال الملوثات من الأطعمة غير المطهوة، وفقاً لممارسات السلامة الغذائية الجيدة"(3).

في 31 كانون الأول/2019، أُبلغت منظمة الصحة العالمية (المنظمة) بمجموعة حالات إصابة بالتهاب رئوي مجهول السبب في مدينة ووهان بمقاطعة هوباي في الصين. وفي 7 كانون الثاني/2020، حدّدت السلطات الصينية سبب المرض بأنه فيروس كورونا(-سارس-2 (SARS-CoV-2) وفي 11 شباط/ 2020، أطلقت المنظمة على المرض اسم مرض فيروس كورونا 2019 (كوفيد-19). وفي إطار استجابة المنظمة للفاشية، تم تفعيل مخطط أولي للبحث والتطوير لتسريع وتيرة تطوير وسائل التشخيص واللقاحات والعلاجات لمكافحة فيروس كورنا المستجد.

ويعمل فريق خبراء متنوع التخصصات والخبرات على تطوير اللقاحات اللازمة ضد كوفيد-19، بتنسيق من المنظمة.

ووجّه الفريق نداء إلى الجميع بضرورة اتباع التوصيات الرامية إلى منع انتقال الفيروس المسبب لكوفيد-19 وحماية صحة الأفراد.كما يعرب الفريق عن شكره للجميع على وضع ثقتهم في الأوساط العلمية.

إن هذه الإستعدادات الإستباقية ماهي إلا إجراءات لتفادي خطر إنتشار الفايروس وسبل الوقاية منهامن أجل السيطرة عليها .

2. 1 . 2 . كورونا : الإنتشار كوباء : إن سرعة ظهور وإنتشار الفايروس أدى بالقائمين على منظمة الصحة العالمية برصد التسلسل الزمني له كما هو مبين أدناه : نشوء وتطور وإنتشار الفايروس كورونا كوفيد-19: التسلسل الزمني لإجراءات منظمة الصحة العالمية(4).:

31 كانون الأول/2019: الصين تبلغ عن مجموعة حالات إصابة بالتهاب رئوي في ووهان، مقاطعة هوباي. حُدّد السبب لاحقاً بفيروس كورونا مستجد.

1 كانون الثاني/2020: المنظمة تنشئ فريق دعم إدارة الحوادث على نطاق المستويات الثلاثة للمنظمة: المقر الرئيسي، والمقار الإقليمية والمستوى القطري، لوضع المنظمة على مسار طارئ للتصدي للفاشية.

4 كانون الثاني/2020: المنظمة تنشر على وسائل التواصل الاجتماعي خبر ظهورمجموعة حالات إصابة بالالتهاب الرئوي، دون تسجيل وفيات، في مدينة ووهان بمقاطعة هوباي.

5 كانون الثاني/2020: المنظمة تنشر أول خبر عن الفيروس الجديد عبر صفحتها "أخبار عن فاشيات الأمراض"، وهو منشور تقني رئيسي موجّه للأوساط الصحية العلمية والعامة، فضلاً عن وسائل الإعلام العالمية. وتضمن المنشور تقييماً للمخاطر ومشورة المنظمة وأفاد عما أبلغت به الصين المنظمة عن حالة المرض والاستجابة في مجال الصحة العمومية لمجموعة حالات الالتهاب الرئوي في ووهان.

10 كانون الثاني/2020: المنظمة تصدر حزمة متكاملة من الإرشادات التقنية الإلكترونية تتضمن نصائح للبلدان بشأن كيفية اكتشاف الحالات المحتملة وفحصها وتدبيرها العلاجي، استناداً إلى المعارف التي كانت متاحة عن الفيروس في تلك المرحلة. وتم إرسال الإرشادات إلى مديري الطوارئ في المكاتب الإقليمية للمنظمة لتعميمها على ممثلي المنظمة في البلدان.

وكانت البيّنات حينها تشير إلى "انتقال معدوم أو محدود بين البشر". وبناء على الخبرات المكتسبة في فاشيتي سارس وميرس وأنماط الانتقال المعروفة للفيروسات التنفسية، أصدرت المنظمة إرشادات بشأن الوقاية من العدوى ومكافحتها لحماية العاملين الصحيين، متضمنةً توصيات بأخذ الاحتياطات اللازمة للحماية من القطيرات والملامسة عند رعاية المرضى، والاحتياطات اللازمة للحماية من الانتقال عبرالهواء في إجراءات الرعاية المولّدة للرذاذ التي يجريها العاملون الصحيون.

12 كانون الثاني/2020: الصين تنشر على الملأ التسلسل الجيني للفيروس المسبب لكوفيد-19.

13 كانون الثاني/2020: المسؤولون في تايلند يؤكدون أول حالة إصابة بمرض كوفيد-19 في البلد، وكانت أول حالة تُسجّل خارج الصين.

14 كانون الثاني/2020: المسؤولة الفنية للاستجابة في المنظمة تشير في إحاطة صحافية إلى احتمال حدوث انتقال محدود من شخص إلى آخر لفيروس كورونا الجديد (في41 حالة مؤكدة)، بين أفراد الأسرة الواحدة بشكل أساسي، وإلى خطر حدوث فاشية محتملة أوسع نطاقاً.

20-21 كانون الثاني/2020: خبراء المنظمة من مكاتبها الإقليمية في الصين وغرب المحيط الهادئ يقومون بزيارة ميدانية قصيرة إلى ووهان.

22 كانون الثاني/2020: بعثة المنظمة إلى الصين تصدر بياناً تؤكد فيه وجود بيّنات على انتقال العدوى بين البشر في ووهان، مع الحاجة إلى إجراء المزيد من التحريات لفهم النطاق الكامل لنمط الانتقال.

22-23 كانون الثاني/2020: المدير العام للمنظمة يعقد اجتماعاً للجنة الطوارئ المشكّلة بموجب اللوائح الصحية الدولية (2005) لتقييم ما إذا كانت الفاشية تشكّل طارئة من طوارئ الصحة العمومية التي تثير قلقاً دولياً. ولم يتوصل الأعضاء المستقلون من شتى أنحاء العالم إلى توافق آراء بهذا الشأن استناداً إلى البيّنات التي كانت متاحة في تلك المرحلة. وطلبوا إعادة انعقاد اللجنة في غضون 10 أيام بعد تلقي المزيد من المعلومات.

28 كانون الثاني/2020: وفد رفيع المستوى من المنظمة يترأسه المدير العام يزور بيجين للقاء القيادات الصينية والإحاطة بالمزيد من المعلومات عن الاستجابة الصينية وعرض المساعدة التقنية.

أثناء الزيارة، اتفق الدكتور تيدروس مع قيادات الحكومة الصينية على إيفاد فريق دولي من نخبة العلماء لزيارة الصين في بعثة تهدف إلى تحقيق فهم أفضل للسياق والاستجابة الإجمالية وتبادل المعلومات والخبرات.

30 كانون الثاني/2020**:** المدير العام للمنظمة يعقد من جديد لجنة الطوارئ، قبل انقضاء فترة الأيام العشرة المقررة وبعد يومين فقط من صدور التقارير الأولى عن وجود انتقال محدود للعدوى من شخص إلى آخر خارج الصين. وقد توصلت اللجنة في هذا الاجتماع إلى توافق في الآراء وأشارت على المدير العام بأن الفاشية تشكّل طارئة صحية عمومية تثير قلقاً دولياً. ووافق المدير العام على التوصية وأعلن أن فاشية فيروس كورونا المستجد-2019 تشكّل بالفعل طارئة من الطوارئ الصحية العمومية التي تثير قلقاً دولياً. وهي المرة السادسة التي تعلن فيها المنظمة عن طارئة كهذه منذ دخول اللوائح الصحية الدولية حيز النفاذ في عام 2005.

11-12 شباط/2020: المنظمة تعقد منتدى البحث والتطوير بشأن كوفيد-19، الذي شارك فيه أكثر من 400 خبير وممّول من شتى أنحاء العالم، وتضمن عروضاً قدمها جورج غاو، المدير العام لمركز مكافحة الأمراض في الصين، وتزونيو وو، كبير علماء الأوبئة في المركز.

16-24 شباط/ 2020 : البعثة المشتركة بين المنظمة والصين، التي ضمّت خبراء من كندا وألمانيا واليابان ونيجيريا وجمهورية كوريا وروسيا وسنغافورة والولايات المتحدة(مراكزمكافحة الأمراض ومعاهد الصحة الوطنية)، تمضي وقتاً في الصين وتزور ووهان ومدينتين أخريين. وتحدث الخبراء إلى مسؤولي الصحة والعلماء والعاملين الصحيين في المرافق الصحية (مع الحفاظ على مسافة الأمان الموصى بها)(5).

3 آذار/2020: المنظمة تصدرالخطة الاستراتيجية للتأهب والاستجابة لمساعدة المجتمع الدولي على حماية الدول ذات النُظم الصحية الضعيفة.

11 آذار/2020: المنظمة تصدر تقييماً بإمكانية وصف فاشية كوفيد-19 بالجائحة، انطلاقاً من قلقها البالغ إزاء المستوى المفزع لتفشي المرض ووخامته والمستوى المفزع أيضاً من التقاعس عن اتخاذ الإجراءات اللازمة.

13 آذار/2020: إطلاق الصندوق التضامني للاستجابة لفاشية كوفيد-19 لتلقي التبرعات من الأفراد والشركات والمؤسسات.

18 آذار/2020: المنظمة والشركاء يطلقون "تجربة التضامن"، وهي تجربة سريرية دولية تهدف إلى توليد بيانات متينة من مختلف أنحاء العالم للتوصل إلى الأدوية الأنجع في علاج كوفيد- 19(6).

جدير باذكر أنه لحد يوم 2024/2/19 بلغ عدد المصابين بوباء فايروس كورونا في العالم (23,413,206) مليون شخص ، وتعافى من الفايروس (22,749,025) شخصاً، و توفي منهم (351,918)شخصاً في معظم أنحاء العالم (7) ، وقد تم إنتاج لقاح الفايروس في عام 2021 على عدة أنواع منها(فايزر) الأمريكي ، و (سينوفارم) الصيني و(أسترازينكا) البريطاني والسويدي وغيرها(8).

إن هذه الإجراءات وما تمخض عنها من أرقام الإصابات والوفيات ومن ثم إنتاج اللقاح تبين بوضوح مدى إكتساح الفايروس وسرعة إنتشاره وعدم السيطرة عليه .

2 . 2 . كورونا : التداعيات والتوقعات

إن ظهور وإنتشار فايروس كورنا أخذت جملة من التداعيات والتوقعات على مستوى البعد الإنساني والصحي على حد سواء لذلك نحاول تناولها من خلال فرعين كالآتي :

2 . 2 . 1 . التداعيات :

في تاريخ9 نيسان/2020 أدلى المدير العام لمنظمة الصحة العالمية الدكتور تيدروس أدحانوم غيبريسوس الملاحظات الافتتاحية في الجلسة الإعلامية للبعثات بشأن مرض كوفيد-19 كالآتي (9):

"يصادف اليوم ذكرى مرور 100 يوم على إبلاغ الصين منظمة الصحة العالمية عن أولى حالات ما يسمى اليوم بمرض كوفيد-19. ولقد شهد الوضع تغيرا كبيرا منذ إطلاقنا للخطة الاستراتيجية الأولى للتأهب والاستجابة قبل شهرين. إن انتشار الفيروس على الصعيد العالمي أرهق النظم الصحية وعطّل الاقتصاد العالمي وتسبب في خلل اجتماعي واسع النطاق. ويقدر معدل وفيات مرض كوفيد-19 بنحو 10 أضعاف معدل وفيات الأنفلونزا. وقد أدى إلى إصابة أكثر من 1.3 مليون شخص بالعدوى ووفاة ما يقرب من 80 ألف شخص. وهذه الجائحة هي أكثر بكثير من مجرد أزمة صحية، وتتطلب استجابة على نطاق الحكومة والمجتمع ككل.

لقد أثبت لنا مرض كوفيد-19 خلال الأيام المائة الأخيرة مدى الأضرار التي يمكن أن يلحقها بالدول الغنية. ولم نر بعد حجم الدمار الذي يمكن أن يخلفه في البلدان الفقيرة والأكثر هشاشة. ولكننا، سنظل ملتزمين ببذل قصارى جهدنا لمنع حدوث ذلك.

ويتمثل أحد الأسباب الرئيسية التي دفعت بنا إلى الإعلان عن الطارئة الصحية العمومية التي تثير قلقا دوليا في كانون الثاني في إتاحة متسع من الوقت للبلدان والمجتمعات المحلية، لاسيما تلك التي لديها نظم صحية ضعيفة، للتأهب لمواجهة فاشية المرض.

فقد تعاني البلدان الفقيرة والمجتمعات المحلية الضعيفة من دمار هائل ما لم تُقدم لها المساعدة وما لم تُتخذ الإجراءات اللازمة. فقد ازدادت معرفتنا بهذا الفيروس المستجد منذ الكشف عنه لأول مرة في بداية العام. وتنعكس هذه الدروس المكتسبة بشق الأنفس في الاستراتيجية الجديدة.

ويتناول هذا التحديث الوضع السائد في البلدان والمجتمعات المحلية ذات الدخل المنخفض والمتوسط والمجتمعات المحلية ذات النظم الصحية والبنية التحتية الضعيفة، لاسيما تلك المتضررة من النزاعات والتي تشهد نزوحا سكانيا. ويقوم هذا التحديث على خمسة أهداف استراتيجية هي:

تعبئة القطاعات والمجتمعات المحلية كافة؛ السيطرة على الحالات المتفرقة ومجموعات الحالات والحيلولة دون انتقال العدوى في أوساط المجتمع المحلي؛ كبح الانتقال المجتمعي المحلي للعدوى أينما يحدث؛ خفض عدد الوفيات من خلال خدمات الرعاية المناسبة؛ استحداث لقاحات وعلاجات مأمونة وفعالة. ويجب أن تُدعم هذه الأهداف الاستراتيجية باستراتيجيات وطنية مصممة خصيصا لتقصي كل حالة وفحصها وعزلها وتقديم الرعاية لها، وتتبع جميع المخالطين. وفي المقابل، يجب أن تُدعم الاستراتيجيات الوطنية على الصعيد الدولي في خمسة مجالات رئيسية، وهي نفس المجالات الخمسة التي تركز عليها المنظمة(10):

أولاً، دعم البلدان في بناء قدراتها على التأهب والاستجابة؛ **ثانيًا**، إجراء تحليل وبائي والإبلاغ عن المخاطر؛ **ثالثا**، تنسيق سلسلة الإمداد العالمية؛ **رابعاً**، توفير الخبرة الفنية وتعبئة القوى العاملة الصحية. **خامسا**، تسريع وتيرة البحث والابتكار وتبادل المعارف. وستقدّر خطتنا الاستراتيجية الثانية للتأهب والاستجابة الموارد اللازمة لتنفيذ الاستراتيجيات الوطنية والدولية خلال المرحلة القادمة من الاستجابة".

وذكرت منظمة الصحة العالمية في إعلان لها حول المحاولات الجارية لإكتشاف علاج أو لقاح ضد الفايروس بقوله (نحن فريق من العلماء والأطباء والممولين والمصنّعين، تكاتفنا للعمل معاً في إطار تعاون دولي تتولى تنسيقه منظمة الصحة العالمية (المنظمة)، للمساعدة على التوصل سريعاً إلى إتاحة لقاح ضد مرض كوفيد-19. ورغم أن تطوير لقاح للاستخدام العام يستغرق وقتاً طويلاً، فقد يكون لهذا اللقاح أهمية حاسمة في السيطرة على هذه الجائحة العالمية. وفي الأثناء، نرحّب ونشيد بتطبيق تدابير التدخل المجتمعي التي تحدّ من انتشار هذا الفيروس وتحمي الناس، بما في ذلك الفئات السكانية الضعيفة، ونتعهد بالاستفادة من فسحة الوقت التي يتيحها اعتماد هذه التدابير على نطاق واسع للعمل على تطوير لقاح في أسرع وقت ممكن. وسنواصل جهودنا لتعزيز ما نشهده اليوم فعلاً من تعاضد وتعاون وتبادل للمعلومات على نطاق عالمي غير مسبوق. ونؤمن بأن ذلك سيساعد على الحدّ من ثغرات الكفاءة وازدواجية الجهود، وسنواصل عملنا بكل همّة وجد لتعزيز احتمالية التوصل إلى لقاح مأمون وفعال، واحد أو أكثر، يكون متاحاً للجميع)(11).

جدير بالذكر أن منظمة الصحة العالمية ذكرت(8)أشياء ينبغي أن يعرفها الجميع عن الأنفلونزا الجائحة(12).

11 آذار /2019: خطرالأنفلونزا الجائحة موجود دائما. ويمكن أن تنشأ الأنفلونزا الجائحة عندما ينشأ فيروس أنفلونزا جديد يصيب الإنسان وينتشر ويصيب البشر بالمرض.

إن فيروسات الأنفلونزا لا يمكن التنبؤ بها - ولا يمكننا أن نتيقن من توقيت اندلاع الجائحة القادم أو مكان اندلاعها. ومع ذلك، **لا مفر من اندلاع جائحة أنفلونزا أخرى** .وفي هذا العالم المترابط، لا يكون السؤال هو هل سنواجه جائحة أخرى أم لا، بل متى سنواجهها؟.

وبغية حماية البشر في جميع أنحاء العالم من هذا التهديد، أصدرت منظمة الصحة العالمية الاستراتيجية العالمية بشأن الأنفلونزا2018-2030. والاستراتيجية الجديدة هي أكثر الاستراتيجيات التي وضعتها المنظمة شمولا وأوسعها نطاقا. وترسم الاستراتيجية الخطوط العريضة لعمل المنظمة والبلدان والشركاء معا على التأهب للأنفلونزا والوقاية منها ومكافحتها.

1. اندلاع جائحة انفلونزا أخرى أمر حتمي - إنها مسألة وقت: نعلم أن جائحة أنفلونزا أخرى ستندلع في مرحلة ما. وفي عام 1918، اندلعت أكثر جوائح الأمراض المعدية فتكا في التاريخ المُدوَّن، ألا وهي: جائحة الأنفلونزا لعام 1918. ومنذ عام 1918، اندلعت ثلاث جوائح أنفلونزا - في عام 1957، وفي 1968، وفي 2009.(H1N1) وخطرالإصابة بفيروس أنفلونزا جديد ينتقل من الحيوانات إلى البشر ويُحتمل أن يتسبب في اندلاع جائحة خطرٌ حقيقيٌ ويشكل تحذيرا لنا بأن علينا أن نستمر في التأهب لمواجهة جائحة ما.

2.الأنفلونزا تشكل بالفعل تحدياً صحياً كبيراً: في كل عام، يوجد ما يُقدر بمليار حالة، يتراوح عدد الحالات الوخيمة منها من 3 إلى 5 ملايين حالة، وتقع حالات وفاة نتيجة لأمراض الجهاز التنفسي المرتبطة بالأنفلونزا يتراوح عددها بين 2090000 و650000 حالة في جميع أنحاء العالم. والحد من آثار الأنفلونزا الموسمية، من خلال تحسين الترصد والتأهب والمكافحة، يساعد البلدان على أن تكون جاهزة لمواجهة الجوائح. اضطلع بدور المساعدة في الوقاية من الأنفلونزا واحصل على الجرعة السنوي من لقاح الأنفلونزا. فهذه أكثر الطرق فعالية في الوقاية من الأنفلونزا.

3.ونحن الآن متأهبون أكثر من أي وقت مضى - لكننا ما زلنا غير متأهبين تأهبا كافيا: ورغم العمل الضخم الذي أديناه على مدى سنوات للتأهب للجائحة، فلا يزال هناك الكثير من العمل الذي ينبغي أداؤه. ومن المهم أن تكون جميع النظم الصحية في شتى أنحاء العالم جاهزة للوقاية من الأنفلونزا ومكافحتها. ومن اللازم أن تكون نظمنا الصحية قوية وسليمة.

4. نحن على اتصال بعضنا ببعض: لأننا جميعا متصلون بعضنا ببعض، فلا غنى عن التعاون لضمان تأهب العالم لجوائح الأنفلونزا. وستعمل المنظمة والبلدان والشركاء معا لتحقيق أهداف الاستراتيجية، وسوف تحقق التواؤم في القدرات العالمية والوطنية اللازمة للوقاية من الأنفلونزا والكشف السريع عنها والاستجابة لها.

5. نحن بحاجة إلى أدوات أفضل لمكافحة الأنفلونزا: من خلال هذه الاستراتيجية، سوف تُستحدث أدوات مُحسَّنة للوقاية من الأنفلونزا والكشف عنها ومكافحتها وعلاج مرضاها. وتشمل هذه الأدوات لقاحات ومضادات فيروسات وعلاجات أكثر فعالية. والهدف هو جعل هذه الأدوات في متناول جميع البلدان.

6. لا ينجو بلد واحد من الضرر: يُعد تعزيز القدرات القطرية في مجال ترصد الأمراض، والاستجابة لها والوقاية منها، ومكافحتها والتأهب لها أحد الأهداف الأساسية لهذه الاستراتيجية. ولتحقيق ذلك الهدف، لا بُد من أن يكون لدى كل بلد برنامج قوي في مجال الأنفلونزا.

7. تكلفة التأهب أقل من تكلفة الاستجابة: التكلفة التي نتكبدها من جراء فاشيات الأنفلونزا الضخمة تفوق بكثير تكلفة الوقاية منها. ويمكن أن تودي أي جائحة وخيمة بحياة ملايين من البشر في العالم، مع ما يصاحبها من آثار اجتماعية واقتصادية واسعة النطاق. وقد قُدرت تكلفة التأهب للجائحة بأقل من دولار أمريكي واحد للشخص سنويا، وهو أقل من 1٪ من التكاليف المُقدَّرة للاستجابة للجائحة.

8.تتخطى فوائد الاستراتيجية العالمية بشأن جوائح الأنفلونزا مجرد التأهب للأنفلونزا: ستجني جميع البلدان، من خلال الاستثمار في جهود الوقاية من الأنفلونزا ومكافحتها والتأهب لها، فوائد تتجاوز الفوائد المحققة في مجال الأنفلونزا من خلال التعزيز الشامل لنظمها في مجال الرعاية الصحية. ويمكن للبلدان أن يربط الجهود المبذولة في مجال الأنفلونزا بالجهود الوطنية والعالمية الأخرى المخصصة للأمن الصحي والرعاية الصحية الشاملة.

إن هذه التداعيات والإستراتيجيات المتبعة من قبل منظمة الصحة العالمية ماهي إلاخارطة طريق حول كيفية التعامل مع الفايروس ومكافحته وكذلك تعتبر وسيلة لدرء خطر الفايروس المستشري الذي كان قاب قوسين أو أدنى أن يهدد حفظ السلم والأمن الدوليين من البعد الإنساني والصحي .

كما أن النقطتين السابعة والثامنة من الستراتيجيات يمكن أن تمتد من المجال الصحي إلى المجال السياسي في العلاقات الدولية بما يجنب البشرية الكوارث والحروب والصراعات الدامية والأزمات الدولية.

2.2.2. التوقعات :

كان نوستراداموس أشهر الأطباء والكيميائيين الفرنسيين في القرن السادس عشر، لكن السبب الأكبر لشهرته هو أنه كان يتنبأ بما سيحدث حتى عام 3797 م. جمع نوستراداموس توقعاته في كتاب "النبوءات"، الذي جاءت فيه أخبار عن الحرب العالمية الثانية، وسقوط الشيوعية، واغتيال الرئيس الأميركي جون كينيدي، وصعود النازية على يد هتلر. في كتابه الذي صدرت أول نسخة منه عام 1555، كتب نوستراداموس عن قوارب موت ترسو على ضفاف نهر في إيطاليا، محملة بالأوبئة وملطخة بالدماء، لتقضي على البلد وتاريخه. ولن يتوقف المرض هنا، بل سينتشر في الغرب، وتحديدا أوروبا وأستراليا وأميركا، محدثا كارثة عظيمة، وسيعيش العالم في سجن كبير خوفا من العدوى. وهو دفع الكثيرين إلى تفسير أن فيروس كورونا هو الموت الذي رسا على ضفاف إيطاليا ومن بعدها أميركا، وتسبب في عيش العالم في حجر صحي (13)

قال الشاعر والفيلسوف الكوردي (نالى) في عام 1854 وقبل سنتين من وفاته شعراً ،كان محفوظاً في ارشيف المكتبة والمخطوطات العثمانية في اسطنبول، والتي تكهن بحصول نوع من الطاعون ، قال فيها باللغة الكوردية ما يلي(14):

نالى لة سالى 1854 دووسال ثيش مردنى ئەوشيعرەى نووسيوةو لة ئەرشيڤي عوسمانى بينراوەتةوة و وةسفى تاعونى كۆرۆنا دةكات

لة بيستى عصرى بيست و يةكة مدا قتل عامى جنسى بشر دة بىَ
نوعى **طاعون** دىَ ، علم و عالمان فة همى نأكة ن ، بىَ ضارة دة بىَ
طشت عالةم **مثلى** مجرم عقوبة دةدرىَ و حياتى لة سجنا دةبىَ
علاجى نابىَ، بدون جواب ، علم معرفة بىَ زار و صامت دةبىَ
بة **أمرى** رب العالمين ، **مثل** القيامة ، جهان تاريك و مالويَران دةبىَ
لة اخر ، **مثلى** نوح ، شمس و حياتى جديد لة جةبةل جودى دةبىَ
(في عشرينات العصر الحادي والعشرين يكون القتل العام للجنس البشري
ياتي نوع من الطاعون ، يكون العلم والعلماء لايفهمونه ، ولن يكون له علاج
يعاقب العالم أجمع كالمجرم ، وحياته سيكون في سجن
ليس له علاج ، بلا جواب ، العلم والمعرفة سيكون بلا لسان وصامتاً
بأمر من رب العالمين ، مثل القيامة ، العالم سيكون ظلاماً ودماراً
في ألاخر ، مثل نوح ، سيكون الشمس والحياة الجديدة في جبل جودي)
يعتبر هذا التوقع النادر والفريد من نوعه قبل أكثر من مائة وخمسين عاماً .

من جانب آخر كتب المؤلف دين كونتز روايته "عيون الظلام" عام 1981، وتنبأ فيها بانتشار الفيروس التاجي وأسماه "ووهان-400"، وهي المدينة الصينية نفسها التي انطلق منها فيروس كورونا نهاية العام الماضي. ونشأ الفيروس في الرواية في مختبرات خارج ووهان لاستخدامها كسلاح بيولوجي قادر على قتل كل من يصيبه بنسبة 100%، وبالفعل قضى الفيروس على عدد كبير من سكان المدينة خلال تسعة أيام، بحسب "سي أن أن."

كانت تلك فقط العوامل المشتركة بين الواقع والرواية، التي لاقت هجوما شديدا بعد شهرتها خلال الأحداث الجارية، لأنها تعتمد نظرية المؤامرة، لأن "ووهان-400" تم تصنيعه في الصين بهدف ضرب الولايات المتحدة، لكن أحد الباحثين انشق وتحالف معها بالنهاية لضرب الصين.

لم يتوقف الأمر عند الرواية فقط، فبتصنيفها رواية خيال علمي، اشتركت معها العديد من الأعمال الروائية والسينمائية، ربما أشهرها فيلم "العدوى (Contagion) "للسيناريست سكوت زي بيرنز، عام 2011، عن فيروس يدعى"MEV-1" ، أصبح وباء عالميا، بعدما نقله خفاش إلى خنزير ومنه إلى إنسان لم يغسل يديه قبل مصافحة شخص آخر. وكانت فترة حضانة هذا الفيروس 72 ساعة، ومعدل وفياته مرتفع.

وفي عام (1981) صدر كتاب عيون الظلام (THE EYES OF DARKNESS) للكاتب ديان كونتز (DEAN KOONTZ) ، تحدث فيها عن نشوء فايروس قبل ما يقارب من سنتين من نشر الكتاب أي في عام (1979) في مدينة (وهان) الصينية ، عيون الظلام لقد أصيب بمرض فريد ، مرض من صنع الإنسان في المختبر(15) كالآتي: إنه مثل التهاب الحلق أو نزلات البرد أو السرطان ، لأنه يمكنك الإصابة به مرارًا وتكرارًا. إذا كنت محظوظًا بما يكفي للتغلب عليه في المرة الأولى. اليوم ، ضربه داني للتو للمرة الرابعة عشرة ولدت تينا في رعب.

"على الرغم من ضعفه كل يوم ، لسبب ما يفوز على الفيروس بشكل أسرع في كل مرة. لكن كل انتصار يستنزفه(16)" اعتقدت أن الولايات المتحدة خرجت من سباق الأسلحة الكيميائية والبيولوجية منذ فترة طويلة"(17).

ينتقل الفيروس إلى جذع الدماغ ، وهناك يبدأ في إفراز مادة سامة تأكل حرفياً أنسجة الدماغ مثل حامض البطارية الذي يذوب القماش القطني. إنه يدمر جزء الدماغ الذي يتحكم في جميع وظائف الجسم التلقائية. تتوقف الضحية ببساطة عن النبض، أو الأعضاء العاملة أو أي رغبة في التنفس(18). يجب الحفاظ على توازن القوى مع الدول الشمولية مثل الصين(19).

وتنبئت الكاتبة(سلفياراون)(SLVYA BROWNE) مع (ليندزي هاريسون) (LINDSAY HARISON) في عام (2004) كتاباً بعنوان (ما الذي يخبئه المستقبل لك) (What the future Holds for you) بما يلي: حلول عام 2020، سنرى المزيد من الأشخاص أكثر من أي وقت مضى يرتدون الجراحة أقنعة وقفازات مطاطية في الأماكن العامة ، مستوحاة من تفشي المرض من مرض شبيه بالالتهاب الرئوي الذي يهاجم كلا الرئتين وأنابيب الشعب الهوائية وهي مقاومة بلا رحمة للعلاج. هذا المرض سيكون محيرا بشكل خاص بعد ذلك مما يسبب شتاء من الذعر المطلق ، يبدو أنه يختفي تماما حتى بعد عشر سنوات ، مما يجعل مصدرها و علاجه أكثر غموضا(20).

وجاء في كتاب (بناء الكون ومصير الإنسان: نقض لنظرية الإنفجار الكبير حقائق مذهلة في العلوم الكونية والدينية) للباحث هشام طالب (21) بأن العلم يتقدم بدرجة لايمكن التنبوء بها ، وفي نطاقٍ أخطر من أي وقتٍ مضى، إن أهم الأخطار التي تهدد البشرية هي:"إرهاب نووي وفيروسات مميتة معدلة وراثياً ، وإنقلاب أجهزة من صنع الإنسان وهندسة وراثية تغيّر طبيعة البشر، كل هذا يتم بتدابير من " أشرار أو نتيجة خطأ بشري، غير أن العام 2020 سيكون عام "الخطأ البيولوجي " الذي يتسبب بمقتل مليون إنسان "(22).

وواصلت في التنبوء الكاتبة (سلفيا براون) (SLVYA BROWNE) مع (ليندزي هاريسون) (LINDSAY HARISON) في عام (2008) في كتاب أخر لها بعنوان (تنبؤات ونبوءات نهاية الأيام حول نهاية العالم) (End of Days Predictions and Prophecies about the End of the World) بما يلي: في حوالي عام 2020 ، سينتشر مرض شبيه بالالتهاب الرئوي الحاد في جميع أنحاء العالم ، ويهاجم الرئتين والأنابيب الهوائية ومقاومة جميع العلاجات المعروفة. تقريبا أكثر حيرة من المرض نفسه هو حقيقة أنه سيختفي فجأة بمجرد وصوله، يهاجم مرة أخرى بعد عشر سنوات ، ثم تختفي تمامًا (23).

في عام 2009 تحدث الرئيس الليبي السابق معمر القذافي في خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة عن " أن الدول الرأسمالية ينتجون فيروس ثم ينشرونه في العالم كله ، ثم ينتجون اللقاحات ويبيعونها بأسعار مرتفعة . بينما الفيروس يذبح البشرية (هذه تجارة لا إنسانية من أجل مصالح الرأسمالية)"وإستطرد أيضاً" سيصنعون الفايروسات بأنفسهم، ويبيعون لكم الترياق، وسيتظاهرون بأنهم يأخذون الوقت لإيجاد الحل الذي يملكونه سابقاً"(24).

وقد وردت في مجلة سيدتي في العدد في 1684 السنة 32– السبت 15 يونيو2013– 6 شعبان 1434 في غلاف المجلة (كل شيء عن الفيروس المتحور(كورونا)) تقرير مفصل عن موضوع الغلاف بعنوان ماهو الفيروس المتحور(كورونا) ؟ حيث بين فيها ظهور الفيروس وسبل الوقاية والعلاج منها (25).

ربما كان مؤسس مايكروسوفت بيل غيتس هو أحدث من توقعوا قدوم وباء خلال العشر سنوات التالية يشبه جائحة الإنفلونزا الإسبانية عام 1918، وأكدا في العام 2015 أن على الحكومات الاستعداد له وكأنه حرب.

كان ذلك خلال محاضرته في عرض "تيدكس" بمدينة فانكوفر الكندية، في تعليقه على تفشي فيروس إيبولا في غربي أفريقيا، والذي وصفه بالمأساة وبأن الأوبئة صارت واقعا. وبقدر ما كانت إيبولا وشلل الأطفال مروعين، فقد يكون الوباء التالي أسوأ بكثير، والعالم غير مستعد للتعامل معه، خاصة الإنفلونزا، لأنها تصيب أعدادا كبيرة من الناس بسرعة هائلة، وقد تقتل 10 ملايين شخص أو أكثر(26).

في مناقشة أخرى بشأن الأوبئة استضافتها جمعية ماساتشوستس الطبية عام 2018، قال غيتس إنه متشائم على غير العادة، لأن العالم لا يستفيد مما حدث في تاريخه، وأن التاريخ يؤكد أن مرضا جديدا قاتلا سينشأ وينتشر في العالم كحرائق الغابات، ونحن مشغولون عن ذلك، وأنه يمكن لشاب صغير أن يصنع في مختبره مرضا أشد فتكا من الجدري.

توقعات بيل غيتس لجائحة كورونا لم تكن الأولى، فهناك من سبقه بسنوات عديدة(27) ، انتقد مؤسس شركة مايكروسوفت للكومبيوتر بيل غيتس الإجراءات الأميركية لتطويق أزمة انتشار فايروس كورونا في البلاد التي تصدرت العالم بعدد الإصابات حتى الآن. وقال غيتس إن هناك ثلاثة إجراءات ضرورية يجب أن تتخذها الولايات المتحدة، أولها "نهج متسق للإغلاق، حيث إنه لا تزال هناك ولايات ومقاطعات لم تغلق بالكامل، وفي بعض الولايات لا تزال الشواطئ مفتوحة بينما لا تزال المطاعم تقدم وجبات الطعام في الداخل في بعض البلدان."

وتوقع غيتس أن أرقام الإصابات ستنحسر بعد 10 أسابيع أو أكثر من الإغلاق. وقال غيتس إن "الإجراء الثاني هو تكثيف إجراء الفحوص وتوفير المزيد من الاختبارات من قبل الحكومة الفيدرالية، مشيدا بقرار ولاية نيويورك توسيع قدرتها على إجراء الفحوص لتصل إلى 20 ألف اختبار يوميا." وطالب غيتس بمنح الأولوية بإجراء الفحوص إلى العاملين في المجال الطبي، ومن ثم الأشخاص الذين يعانون من أعراض شديدة ومن ثم الأشخاص الذين يحتمل تعرضهم للإصابة.

وبحسب غيتس، فإن الإجراء الأخير هو اعتماد "نهج قائم على البيانات لتطوير العلاجات واللقاح"، مؤكدا أن "القادة يمكنهم المساعدة خلال عدم تأجيج الشائعات أو الذعر".

وطالب غيتس بتوفير المنشآت اللازمة لصنع مليارات الجرع من اللقاح فور التوصل إلى صيغته، متوقعا أن تكون البلدان النامية أكثر عرضة للخطر من البلدان الغنية، لأنه من الأصعب عليها القيام بإجراءات التباعد الاجتماعي والإغلاق.

وقال غيتس "في عام 2015، حثثت قادة العالم على الاستعداد لمواجهة وباء بنفس الطريقة التي يستعدون بها للحرب - من خلال إجراء عمليات محاكاة للعثور على مكامن الخلل في النظام." وأكد "ما زلت أعتقد أننا إذا ما قمنا بالقرارات الصحيحة الآن، مستنيرين بالعلم والبيانات وخبرة المهنيين الطبيين، يمكننا إنقاذ الأرواح وإعادة البلاد إلى العمل". ويقترب العالم بسرعة من تسجيل الإصابة المليون بالمرض، فيما يتوقع الخبراء أن يصاب مئات الملايين، أو ربما المليارات، قبل أن ينحسر المرض في حال لم يتم صنع لقاح أو علاج بسرعة. ويتوقع الخبراء أن العالم يحتاج إلى 18 شهرا للتوصل إلى لقاح للمرض، ومع أن الوقت يبدو طويلا لكن اللقاحات تأخذ في العادة سنوات للتوصل إليها(28).

عاد بيل غيتس لتقديم المزيد من التوقعات بشأن مستقبل تفشي فيروس كورونا المستجد، حيث كشف الملياردير الأمريكي عن الدول التي ستكون أكثر تضرراً من غيرها بالفيروس، مشيرا إلى أن الولايات المتحدة قد لا تكون آمنة تماما من مخاطر الوباء حتى خريف عام 2021 . و أعرب عن خشيته من أن معظم الوفيات الناجمة عن الفيروس لن تحصل في الولايات المتحدة وأوروبا بل في الدول المتنامية حيث لم تبلغ الجائحة بعد ذروتها، موضحا أن هذه البلدان خلافا لدول الغرب لا تستطيع إعادة تخصيص 10-20% من ناتجها المحلي الإجمالي إلى مكافحة الفيروس.

وقال غيتس الذي تنبأ قبل خمس سنوات بظهور فيروس جديد قد يقتل 10 ملايين نسمة في العالم " إن الأمريكيين لن يكونوا على الأرجح بأمان تام قبل حلول خريف عام 2021، موضحا أن هذا الوقت مطلوب حسب بعض التوقعات لتطوير لقاح ضد العدوى وبدء التطعيم واسع النطاق به وفقا لقناة "روسيا اليوم." وأشار غيتس إلى ضرورة تنويع فحوص كورونا في الولايات المتحدة، متوقعا أن يتم الكشف عن أساليب جديدة لمعالجة المصابين بالفيروس خلال الأشهر الـ3-6 القادمة(29). كما شدد غيتس الذي تعمل مؤسسته على تطوير لقاح ضد كورونا على أن هذا الأمر يحظى بأهمية قصوى، موضحا أن خطر حدوث ارتداد في تفشي الفيروس في المجتمعات الأمريكية سيبقى قائما حتى ذلك الحين في حال عدم التزام المواطنين على نحو صارم بإجراءات التباعد الاجتماعي.

وأوضح غيتس ردا على سؤال عما يقصده بـ"العودة إلى الحياة الطبيعية في فترة ما بعد كورونا" أنه يتعين على السلطات الأمريكية الاستفادة من تجربة الدول المتضررة الأخرى وفي مقدمتها الصين كنموذج جيد، لافتا إلى أن الناس في المناطق المتضررة بكورونا هناك قد عادوا إلى العمل، لكن مع إبقاء سلسلة إجراءات احترازية مثل ارتداء الكمامات وقياس درجات الحرارة، فضلا عن استمرار حظر التجمعات الرياضية الشعبية(30).

وتنفي الحكومة الصينية أن الفيروس تسرب من أحد المختبرين الواقعين في ووهان واللذين يجريان دراسات موسعة على فيروسات كورونا الناجمة عن الخفافيش. وقال مدير معهد علم الفيروسات في ووهان، يوان زيمينغ، إن "من المستحيل أن يكون هذا الفيروس صادرا عنا ".

ويعتقد معظم العلماء أن فيروس كورونا الجديد انتقل على الأرجح إلى الإنسان من حيوان، وأشير بالاتهام في هذا الصدد إلى سوق في المدينة لبيع الحيوانات البرية الحية بهدف استهلاكها.

لكن وجود معهد علم الفيروسات على مسافة كيلومترات قليلة من السوق يثير منذ بضعة أشهر تكهنات حول تسرب الفيروس من تلك المنشآت الحساسة.

وقالت واشنطن تايمز إنها تلقت من فاوتشي رابطا لدراستين علميتين نشرت إحداهما في دورية طب الطبيعة في 17 مارس، تشير إلى أن "من غير المحتمل" أن الفيروس تم إنتاجه أو التلاعب به في مختبر وذلك بناء على المادة الوراثية لخليته.

لكن الدراسة لم تستبعد مع ذلك، احتمال تسرب الفيروس من مختبر . وقالت إن الأبحاث الأساسية المتعلقة بفيروسات تاجية شبيهة بسارس، في عينات تزرع في المختبرات أو في حيوانات، "مستمرة منذ سنوات عديدة في مختبرات السلامة البيولوجية من المستوى الثاني حول العالم." وعلاوة على ذلك، تم توثيق تسربات الفيروس سارس-كوف الذي سبب وباء سارس في 2003، من مختبر حتى في الصين.

ونقلت شبكة فوكس نيوز الأميركية عن عدة مصادر لم تكشف هويتها أن فيروس كورونا الحالي، الذي أعلن عن أول ظهور له في ووهان نفسها في ديسمبر، مصدره هذا المختبر بالذات، وإن كان فيروسا طبيعيا غير مركب من قبل الصينيين، فقد يكون "تسرب" لا إراديا بل جراء اتباع تدابير وقائية غير سليمة.

ويملك معهد علم الأوبئة في ووهان أكبر مجموعة من سلالات الفيروسات في آسيا مع 1500 عينة مختلفة بحسب موقعه الإلكتروني(31).

إن هذه التكهنات والتوقعات بشأن حدوث وظهور فايروس كورونا هي نتيجة بحوث مضنية قام بها باحثون ومفكرون الهدف منها بيان مخاطره على الصحة العامة وانعكاساته الآنية والمستقبلية على العلاقات الدولية.

3 . العلاقات الدولية وآفاقها المستقبلية في ظل دبلوماسية الكورونا

إن العلاقات الدولية في حقبة فايروس الكورونا كما هو الحال من وجهة النظر الصحية تبنت سياسة التباعد الإجتماعي تفادياً لإنتشار خطر الفايروس وتقليص بؤر إنتشاره إلى أقصى حد ممكن ، ولكن هذا الأمر كان كفيلاً بالمجتمع الدولي في إعادة هيكلة علاقاتها الدوليةعلى أسس عقلانية ومنطقية و واقعية مع المنظومة الدولية بشكلٍ جديد ، مما أدى إلى التخطيط والإعداد لكيفية مواجهة التحديات والأزمات التي يمكن أن تحدث وسبل إدارتها مع بيان تأثيراتها على مستقبل أفاق تلك العلاقات ، لذلك نحاول تسليط الضوء عليه كالآتي :

3 .1 . التحديات التي تواجه عقلنة العلاقات الدولية

واجهت العلاقات الدولية جملة من التحديات التي كانت تعترض سبيل عقلنة هذه العلاقات مع المستجدات التي طرأت في عصر الكورونا وما تلتها من بعدها لذلك نحاول بيان أبرز تلك التحديات.

في 10نيسان/2020 قال الأمين العام للأمم المتحدة، أنطونيو غوتيريش إن جائحة كوفيد-19 وبرغم أنها أولا وقبل كل شيء أزمة صحية، لكن آثارها بعيدة المدى ويمكن أن تهدد السلام والأمن الدوليين. وشدد الأمين العام، الذي كان يخاطب أعضاء مجلس الأمن، خلال جلسة مغلقة عقدت عبر الفيديو، على الحاجة إلى تضامن متزايد إذا أراد العالم أن يجابه هذه الأزمة الصحية، التي وصفها بأنها "أخطر اختبار منذ تأسيس هذه المنظمة،" حيث تكافح الحكومات بالفعل لمعالجة ارتفاع البطالة والانكماش الاقتصادي. وحذر الأمين العام من أن "الوباء يشكل أيضا تهديدا كبيرا لصون السلم والأمن الدوليين - مما قد يؤدي إلى زيادة الاضطرابات الاجتماعية والعنف الذي من شأنه أن يقوض إلى حد كبير قدرتنا على مكافحة المرض،" مشيرا في وقت لاحق إلى أن مشاركة المجلس ستكون حاسمة للتخفيف من هذه الآثار. وأشار الأمين العام للأمم المتحدة إلى ثماني طرق يمكن لهذه الجائحة أن تقوض من خلالها السلام والأمن العالميين، بدءا بتآكل إضافي في الثقة في المؤسسات العامة إذا أدرك الناس أن حكوماتهم أساءت التعامل مع الاستجابة أو أنها لم تكن شفافة.

يمكن للتأثيرات الاقتصادية للجائحة أن تخلق "ضغوطا كبيرة" في المجتمعات الهشة أو الدول الأقل نموا، على سبيل المثال، في حين أن عدم الاستقرار الاقتصادي الذي سيترتب على ذلك سيكون له عواقب مدمرة على النساء، اللواتي يشكلن الأغلبية في القطاعات الأكثر تضررا. وشدد الأمين العام على أن "هذا ليس وقت الانتهازية السياسية،" معربا عن خشيته من أن تتأثر العمليات الانتخابية لأن تأجيل أو الشروع في التصويت قد يثير توترات سياسية ويقوض الشرعية. وأضاف: "في بعض حالات الصراع، قد يخلق عدم اليقين الذي أحدثته الجائحة حوافز لبعض الجهات الفاعلة لتعزيز مزيد من الانقسام والاضطراب. وقد يؤدي ذلك إلى تصاعد العنف وربما سوء التقدير المدمر، مما قد يزيد من ترسيخ الحروب الجارية ويعقد الجهود المبذولة لمحاربة".

ومع تركيز معظم الحكومات جهودها على محاربة الوباء، حذر الأمين العام من إمكانية استغلال الجماعات الإرهابية هذه الفرصة لشن هجمات،" مع اعتبار الوضع في منطقة الساحل مصدر قلق خاص. وأضاف: "إن نقاط الضعف وقلة الاستعداد التي ظهرت بسبب هذا الوباء توفر نافذة على الكيفية التي قد يتكشف بها هجوم الإرهاب البيولوجي - وقد تزيد من مخاطرها. يمكن للمجموعات غير الحكومية الوصول إلى السلالات الخبيثة التي يمكن أن تشكل دمارا مشابها للمجتمعات حول العالم". كما أعاق كوفيد-19 جهود حل النزاعات، وتعثرت العديد من عمليات السلام. وقد أدى الوباء أيضا إلى إثارة أو تفاقم العديد من التحديات في مجال حقوق الإنسان.

وجه الأمين العام نداء لوقف إطلاق النار في جميع أنحاء العالم والتركيز "على المعركة الحقيقية في حياتنا" كوفيد-19:(32). ضعوا حدا لمرض الحرب، وحاربوا المرض الذي يعصف بعالمنا. ويبدأ ذلك بوقف القتال في كل مكان. الآن. فهذا ما تحتاج إليه أسرتنا البشرية، الآن أكثر من أي وقت مضى". هذا ما جاء في النداء الذي أطلقه الأمين العام للأمم المتحدة، أنطونيو غوتيريش حث فيه على وقف إطلاق النار في جميع أنحاء، قائلا: "لقد حان الوقت لوقف النزاعات المسلحة والتركيز معا على المعركة الحقيقية في حياتنا". وقال إن عالمنا يواجه عدوا مشتركا يتمثل في فيروس كورونا المسبب لمرض كوفيد-19، مشيرا إلى أن هذا الفيروس يهاجم الجميع بلا هوادة، ولا يأبه لأي أصل عرقي أو جنسية أو فصيل أو دين. هذا وسيسمح وقف إطلاق النار للعاملين في المجال الإنساني بالوصول إلى السكان الأكثر عرضة لانتشار كوفيد-19، الذي ظهر لأول مرة في ووهان، بالصين، في كانون الأول ، وتم الإبلاغ عنه في أكثر من 180 دولة.

وقد بلغ عدد الحالات المسجلة حتى الآن، ما يقرب من 300 ألف حالة في جميع أنحاء العالم، وأكثر من 12،700 حالة وفاة، وفقا لمنظمة الصحة العالمية.(WHO)

وفيما لا تزال النزاعات المسلحة تحتدم في جميع أنحاء العالم، قال الأمين العام إن أكثر الفئات ضعفا من النساء والأطفال، والأشخاص ذوو الإعاقة، والمهمشين والمشردين هم من يدفعون أبهظ أثمان هذه النزاعات. وأضاف: "ضعوا حدا لمرض الحرب، وحاربوا المرض الذي يعصف بعالمنا"

"هم يواجهون أيضا خطر التعرض لخسائر مدمرة بسبب فيروس كوفيد-19 .وعلينا ألا ننسى أن النظم الصحية قد انهارت في البلدان التي دمرتها الحروب .وأن العاملين في مجال الصحة، وعددهم قليل أصلا، قد استُهدفوا في أحيان كثيرة .وأن اللاجئين وغيرهم ممن شرّدتهم الصراعات العنيفة معرضون للخطر بشكل مضاعف".

وقال الأمين العام إن ضراوة الفيروس تبيّن جنون الحروب. ولهذا السبب "فإنني أدعو اليوم إلى وقف إطلاق النار فورا في جميع أنحاء العالم. وأقول للأطراف المتحاربة: "اتركوا الأعمال العدائية. ضعوا مشاعر عدم الثقة والعداوة جانبا. أخرسوا البنادق؛ وأخمدوا المدافع؛ وأوقفوا الغارات الجوية. فهذا الأمر حاسم الأهمية".

وقال السيد أنطونيو غوتيريش إن هذا النداء هو من أجل المساعدة على إنشاء ممرات لإيصال المساعدات المنقذة للحياة. ومن أجل فتح نوافذ ثمينة لحل النزاعات بالطرق الدبلوماسية. ومن أجل جلب شعاع من الأمل إلى حيث تعيش الفئات الأكثر ضعفا إزاء فيروس كوفيد-19.

ودعا الامين العام للأمم المتحدة، أنطونيو غوتيريش، يوم الأربعاء 25 /اذار2020 خلال إطلاقه "خطة استجابة انسانية عالمية"إلى استلهام الحلول من التحالفات والحوارات التي تتبلور ببطء بين الأحزاب المتنافسة ليتسنى وضع نهج مشترك لمواجهة فيروس كوفيد-19، مشيرا إلى أننا "بحاجة إلى أكثر من ذلك بكثير". حيث أكد أن فيروس كورونا المستجد "كوفيد-19" "يهدد البشرية جمعاء"، مع دعوة إلى تلقي مساعدات بقيمة ملياري دولار(33). وقال في مداخلة عبر الفيديو إن "تمويل هذه الخطة بالقدر الكافي سيسهم في إنقاذ العديد من الأرواح، وفي تزويد الوكالات الإنسانية والمنظمات غير الحكومية بالإمدادات المختبرية اللازمة لإجراء الفحوص اللازمة، وبمعدات طبية لعلاج المرضى، مع حماية العاملين في مجال الرعاية الصحية.". وأوضح أن الخطة "تتضمن أيضا تدابير إضافية لدعم المجتمعات المضيفة التي تواصل فتح بيوتها وبلداتها بكل سخاء أمام اللاجئين والمشردين." وأضاف قوله "يشكل دعم خطة الاستجابة الإنسانية هذه ضرورة للأمن الصحي العالمي. كما أنها ضرورة أخلاقية تصبّ في مصلحة الجميع. وهي شرط حاسم للفوز في هذه المعركة. وإنني أناشد الحكومات أن تقدم دعمها الكامل لهذه الخطة."

أطلق الأمين العام للأمم المتحدة، يوم الثلاثاء، 31/آذار2020 عبر تقنية الفيديو، خطة جديدة لمواجهة الآثار الاجتماعية والاقتصادية المدمرة المحتملة لوباء كوفيد-19، داعيا الجميع إلى "العمل معا للحد من تأثيره على الناس.". وقال إن هذا الفيروس التاجي الجديد يؤثر على المجتمعات في جوهرها، ويودي بحياة الناس ويؤثر على سبل عيشهم، مشيرا إلى أن الآثار المحتملة طويلة الأجل على الاقتصاد العالمي وعلى البلدان ستكون وخيمة.

وفي تقريره الجديد الذي جاء بعنوان" المسؤولية المشتركة والتضامن العالمي: استجابة للتأثيرات الاجتماعية والاقتصادية لكوفيد-19، "دعا الأمين العام للأمم المتحدة الجميع إلى العمل معا لمعالجة هذا التأثير وتقليل الضربة التي يتعرض لها الناس.

ويصف التقرير سرعة التفشي وحجمه، وشدة الحالات، والاضطراب المجتمعي والاقتصادي لانتشاره، والذي أودى، حتى الآن، بحياة أكثر من 33 ألف شخص وإصابة أكثر نحو أكثر من 700 ألف آخرين في 204 دولة ومنطقة ومقاطعة. وأضاف الأمين العام قائلا: "كوفيد-19 هو أعظم اختبار واجهناه معا منذ تشكيل الأمم المتحدة. إن هذه الأزمة الإنسانية تتطلب من الاقتصادات الرائدة في العالم اتخاذ إجراءات سياسية شاملة ومبتكرة وحاسمة وذات تنسيق عال، وحد أقصى من الدعم المالي والتقني لمساعدة الناس والبلدان الأكثر فقرا وضعفا".

ويأتي التقرير بعد أن أعلن صندوق النقد الدولي أن العالم دخل في حالة ركود قد تكون أسوأ من التي حصلت في عام 2008، داعيا إلى استجابة متعددة الأطراف واسعة النطاق ومنسقة وشاملة تصل إلى ما لا يقل عن 10% من الناتج المحلي الإجمالي العالمي.

ويتضمن التقرير تقديرات من مجموعة من وكالات الأمم المتحدة. فوفقا لمنظمة العمل الدولية، سيفقد العاملم حوالي 5-25 مليون وظيفة، وستفقد الولايات المتحدة 860 مليار دولار إلى 3.4 تريليون دولار من دخل العمل.

وتوقع مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (الأونكتاد) ضغطا تنازليا بنسبة 30-40% على تدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر العالمية. بينما أفادت منظمة السياحة العالمية (UNWTO) بحدوث انخفاض بنسبة 20-30% في عدد الوافدين الدوليين.

في غضون ذلك، توقع الاتحاد الدولي للاتصالات أن ينقطع 3.6 مليار شخص عن الإنترنت، وتتوقع منظمة اليونسكو أن يتسرب 1.5 مليار طالب من المدارس.

ويدعو التقرير الأممي إلى استجابة متعددة الأطراف ومنسقة وشاملة على نطاق واسع تصل إلى 10% على الأقل من الناتج المحلي الإجمالي العالمي.

في الختام المؤتمر الافتراضي، وصف الأمين العام للأمم المتحدة الجائحة بأنها "لحظة حاسمة في العصر الحديث،" قائلاً "إن التاريخ سيحكم على فعالية الاستجابة، ليس من خلال أفعال أحادية، ولكن حسب الدرجة التي يتم بها تنسيق الاستجابة عالميا عبر جميع القطاعات لصالح عائلتنا البشرية". وخلص الأمين العام إلى أنه "بالإجراءات الصحيحة، يمكن أن يمثل كوفيد-19 بداية نوع جديد من التعاون العالمي والمجتمعي(34).

قال كلمنت نياليتوسي فول، مقرر الأمم المتحدة الخاص المعني بالحق في حرية التجمع السلمي وتكوين الجمعيات "إن منظمات المجتمع المدني أساسية في مساعدة الدول على وضع سياسات شاملة ونشر المعلومات وتوفير الدعم الاجتماعي للمجتمعات الضعيفة المحتاجة."

وفي إرشاداته العشر، قال إنه عندما يتم اعتماد قوانين أو لوائح جديدة، فإن أي قيود على الحقوق المفروضة يجب أن تلتزم بمبادئ الشرعية والضرورة والتناسب": أولاً: ضمان احترام الإجراءات القانونية الجديدة لحقوق الإنسان. ثانياً: التأكد من عدم استخدام طوارئ الصحة العامة كذريعة لانتهاك الحقوق. ثالثاً: لا يمكن تأجيل الديمقراطية إلى أجل غير مسمى. رابعاً: ضمان المشاركة الشاملة. خامساً: ضمان حرية تكوين الجمعيات والتجمع عبر الإنترنت. سادساً: حماية حقوق مكان العمل لحرية تكوين الجمعيات والتجمع. سابعاً: ضمان حرية التعبير. ثامناً: تأمين مشاركة المجتمع المدني في المؤسسات متعددة الأطراف. تاسعاً: التضامن الدولي مطلوب أكثر من أي وقت مضى. عاشراً: الانعكاسات المستقبلية لكوفيد-19 والاستجابة على الدعوات الشعبية للإصلاح ".

وشدد على أهمية التدفق الحر للمعلومات باعتباره أمرا حاسما في أوقات الأزمات، داعيا إلى تجنب القوانين التي تجرم "الأخبار الكاذبة،" بما في ذلك تلك التي تستهدف المدافعين عن حقوق الإنسان.

وقال إنه من غير المقبول إعلان قيود شاملة على حقوق الإنسان والحريات الأساسية: "ينبغي توقع الإعفاءات للجهات الفاعلة في المجتمع المدني، ولا سيما الجهات التي تراقب حقوق الإنسان، والنقابات، والخدمات الاجتماعية التي تقدم المساعدة الإنسانية، والصحفيين الذين يغطون إدارة الأزمة". وأضاف أن "حالة الطوارئ لا توقف حرية التجمع السلمي وتكوين الجمعيات." وقال إن مبادئه التوجيهية يمكن أن تساعد الدول على إعادة تقييم التدابير الموجودة بالفعل لضمان الامتثال لالتزاماتها في مجال حقوق الإنسان وأخذ طلبات المواطنين في الاعتبار بالكامل.

يشار إلى أن المقررين الخاصين والخبراء المستقلين، يعينون من قبل مجلس حقوق الإنسان في جنيف وهو جهة حكومية دولية مسؤولة عن تعزيز وحماية حقوق الإنسان حول العالم. ويكلف المقررون والخبراء بدراسة أوضاع حقوق الإنسان وتقديم تقارير عنها إلى مجلس حقوق الإنسان. وتجدر الإشارة إلى أن هذا المنصب شرفي، فلا يعد أولئك الخبراء موظفين لدى الأمم المتحدة ولا يتقاضون أجرا عن عملهم(35).

إن هذه التداعيات وما تلاها هي صورة واقعية لما كان متوقعاً حدوثه نتيجة هشاشة الدول وعدم الأخذ بنظر الإعتبار مبدأء اسواء الإحتمالات في التعامل والتعاطي مع تلك الحالات التي تشير كل المؤشرات التي ذكرناها بأن حدوث ظهور فايروس كورونا كان متوقعاً وليس مفاجئة . وهذا الأمر محل شك وريبة لدى المجتمع الدولي والرأي العام الدولي على حدٍ سواء .

3 . 2 . الآفاق المستقبلية ودوردبلوماسية الكورونا في تحقيقها

تطرح هذه الأوضاع جملة من الأسئلة المتعلقة بالأفاق المستقبلية وفرص العالم أمام هذه التحديات وموقع دبلوماسية الكورونا في تحقيقها وبهذا الصدد يرى الدكتور وليد عبدالحي في دراسة له بعنوان مستقبل المشهد الدولي بعد الكورونا(كوفيد-19) إن من بين مشكلات الدراسات المستقبلية في تطوير نماذجها في إطار الدراسات المستقبلية هو في كيفية إدراج المتغير "قليل الاحتمال عظيم التأثير "Low Probability –High Impact خصوصاً عندما يشكل هذا المتغير نقطة تحول في اتجاه Trend معين للظاهرة موضوع البحث أو نقطة تحول للاتجاه الأعظم Mega-Trend للظاهرة . ويتم تقسيم هذا المتغير إلى ثلاثة انماط(36) :

1 - نموذج الأوزة السوداءBlack Swan ؛ وهو الحدث غير المتوقع نهائياً. وبالتالي ليس هناك خطط لمواجهته، وهو أمر لا ينطبق على فيروس كورونا الذي يتوفر قدر غير قليل من الدراسات العلمية التي تنبأت به.

2 - النموذج المتوقع بدون استعداد لمواجهتهKnown but unprepared for ، أي متوقع ولكن لا يوجد استعدادات مسبقة لمواجهته، وهو ما ينطبق على الكورونا.

3 - نموذج المتوقع وهناك استعداد لمواجهته .Known and prepared for وهو ما لا ينطبق على الكورونا أيضاً.

وتتم دراسة هذا المتغير بمناهج متداولة في الدراسات المستقبلية وهي المنهج الإرشادي Heuristicأو المنهج الحتمي Deterministic أو المنهج الاحتماليProbabilistic ، ولكل منها خطواته المنهجية المحددة. ولا يتسع المقام للدخول في تفاصيل هذه المناهج.

مما سبق، نقول إن الكورونا كان متوقعاً لا من العلماء فحسب بل من السياسيين أيضاً، لكن الخطط للمواجهة لم تتم لأسباب تستحق من الباحثين التأمل والبحث فيها.

أولاً: النظام الدولي بين الاتجاهات الأعظم ونقاط تحوله:

بالعودة للتاريخ الإنساني يتبين أن "العقل الإنساني" عبر التطور التدريجي تمكن في خاتمة المطاف من استيعاب الصدمات الكبرى (وبائية، أم سياسية، أم اقتصادية، أم بيئية، أم غيرها)، وإعادة تكييف بُنياته بشكل يحافظ على أربعة "اتجاهات عظمى" لم تتوقف في التاريخ الإنساني على الرغم من كل نقاط التحول الكبرى والصغرى، ولم تثنها الصدمات أو نقاط التحول وتعرجات مسار الظواهر عن الاستمرار، وهي:

1 - الحفاظ على الحياة الإنسانية: والدليل أن عدد سكان العالم لم يتوقف عن "اتجاه" التزايد في أي فترة من فترات التاريخ على الرغم من كل ما واجهته البشرية من "أعوام رمادة" أو حروب أو امراض أو غضب الطبيعة...إلخ.

2 - التطور العلمي في مختلف مناحي الحياة: إذ تتراكم المعارف في مختلف العلوم والفنون وتجري غربلة النظريات والاكتشافات والإبقاء على بعضها أو تطوير البعض الآخر أو إحلال الجديد محل ما لم يعد مناسباً في الاقتصاد والتكنولوجيا والسياسة والأدب والفن...إلخ، ولم يتوقف هذا التطور والتراكم العلمي ولو للحظة واحدة على الرغم من كل التطورات المفاجئة وغير المفاجئة.

3- التواصل بين المجتمعات وتطوير أدوات هذا التواصل من خلال تنامي نشوء المدن(تجمعات سكانية أكثر تواصلاً)،وتقريب المسافات(بأداوت المواصلات من الخيل إلى الكونكورد)،بل وإلغاء المسافات (بالفضائيات وشبكات الإنترنت)،وتؤكد دراسات الأثنروبولوجيين التاريخية هذه المسألة بشكل كبير.

4 - العلاقة الجدلية بين الإنسان والإنسان (والمجتمع والمجتمع الآخر)، والعلاقة الجدلية بين الإنسان والطبيعة وما ورائها، وتمثل هذه الجدلية في علاقة مزدوجة تتظهر بالصراع أحياناً(بالحروب أو بالمظاهر الطبيعية السلبية من تلوث أو كوارث أو أوبئة وسواها)، وبالتصالح والانتفاع أحياناً أخرى (بالتعاون أو جني الثمرات على اختلاف أنواعها من الطبيعة).

بناء على ما سبق، فإن المشهد الدولي بعد كورونا (كوفيد 19) قد يدخل الاتجاهات الأعظم سابقة الذكر في بعض التعرج أو التلكؤ، وقد يفرز مظاهر لم تألفها البشرية، لكني أميل إلى أنه لن يزحزح الاتجاهات الأعظم الأربعة عن مواصلة المسيرة، فلن تتوقف الزيادة السكانية (عند مقارنة عدد المواليد بعدد الوفيات حتى مع كورونا)، ولن يتوقف التراكم العلمي (فالعقل البشري قلق بطبيعته ولن يستقر أمام أي جديد، بل سيلاحقه للفهم والتكيف بل والتوظيف)، ولن تتراجع شبكات التواصل والاتصال بين الأفراد والمجتمعات، بل سيتم رتق أي فتق أصابها وعلى عجل، وأخيراً لن تتوقف ثنائية الصراع و"المماحكة" التاريخية بين الإنسان والإنسان وبينها وبين الطبيعة وما ورائها.

ثانياً: العلاقة بين إيقاع التغير والتحولات في المشهد الدولي وبين البعد البيولوجي الطبي:

إن الفترة الزمنية التي سيصل فيها العالم إلى عقار يلجم انتشار الفيروس، وبالتالي امتصاص آثار التكلفة البشرية والاقتصادية، مسالة متروك تقرير مدتها بيد المختبرات العلمية، فإذا رافق الفيروس العالم حتى سنة 2021 كما ترى بعض التقارير (تقرير الصحة العامة البريطاني)، فإن التداعيات ستكون عميقة اقتصادياً وبشرياً، ولكن هناك مراكز علمية أكثر تفاؤلاً من هذه.

ويبدو أن نتيجة الإحساس بالتداعيات الخطيرة على الجميع صرفت توجه الدول الكبرى باتجاه خبراء القطاع الصحي لمواجهة الأزمة، وهو ما قد يزيد من المنافسة بين هذه الدول من ناحية (خصوصاً شركات الأدوية، وما يترتب على ذلك من مكاسب تجارية وتعزيز القوة الناعمة للدولة)، لكنه قد يدفع باتجاه تكاتف الخبرات وتعاونها من خلال المشاركة في الاكتشافات ذات الصلة من ناحية أخرى.

وهو الأمر الذي حثّ عليه عدد كبير من النخب العالمية، وتبنته الجمعية العامة للأمم المتحدة بتأييد من 188 دولة، والأرجح أن هذا التوجه ليس محصوراً في الأقطاب الدوليين فقط، خصوصاً أن الفيروس غير منحاز لأحد في حربه لا طبقياً ولا قومياً ولا دينياً...إلخ مما يجعله عدواً "للجميع" وهو ما يعزز، بقدر ما، المواجهة المشتركة، وهو ما تؤكده تقارير وتوقعات مسؤولي الصندوق الدولي من أن هناك علاقة ارتباط عكسي بين سرعة الوصول للعقار وبين عمق الأزمات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الناتجة عنه. ولعل تبني أغلب البنوك المركزية لسياسات أكثر تيسيراً للسياسات النقدية يزيد من الحس التعاوني بين مختلف الدول دون أن ينفي بقاء قدر من التنافس أيضاً.

ثالثاً: التداعيات الاقتصادية والقدرة على التكيف مع ارتداداتها العكسية:

إن إيقاع التغير المتسارع يجعل انتقال الآثار أسرع، ويجعل القدرة على التكيف أضعف، في ظل الاضطراب الذي يتركه متغير قليل الاحتمال عظيم التأثير، وهو الكورونا في حالتنا هذه. وبالنظر إلى السوابق التاريخية في تأثير الأوبئة على الاقتصاديات الدولية، نجد مثلاً أن السارس SARS كلف دول شرق آسيا في سنة 2003 نحو 2% من إجمالي ناتجها القومي في حينه، بينما زلازل اليابان سنة 2011 كلفت اليابان ما يوازي 235 مليار دولار، وتوقف الإنتاج في بعض من أكبر شركاتها، وبقيت آثار الزلزال حتى سنة 2017، على الرغم من الإمكانيات الكبيرة لليابان على التكيف، ولا شك أن آثار الكورونا تفوق ذلك في حالة دول كثيرة.

ومن الواضح أن تداعيات الأزمة لا تتساوى في كل الدول (بشرياً واقتصادياً)، ولا في كل القطاعات (قارن قطاع السياحة أو شركات الطيران أو الشركات الكبرى مع قطاع البنوك أو البورصات...إلخ)، ولا في كل الأقاليم (قارن نسبة التأثير في أوروبا والولايات المتحدة والصين مع الدول الإفريقية أو دول أمريكا اللاتينية)، او بين الدول النفطية وغيرها من الدول حيث تراجعت أسعار البترول الى 20.84 دولار للبرميل مع الأسبوع الاخير من نيسان/ أبريل وهو أدنى مستوى لها منذ سنة 2000، بل إن الأسعار النفطية في السوق الأمريكي وصلت إلى حد السالب، وهي المرة الأولى التي يصل فيها التراجع هذا الحد.

وتشير معطيات التعامل الاقتصادي مع الأزمة، إلى أن الاتجاه التعاوني هو الأرجح دون نفي أن هذا الاتجاه يستبطن في أحشائه قدراً من التنافس، لكن الضغوط المالية والتجارية والنقدية تشمل الجميع، على الرغم من تباين وطأتها، من مكان لآخر، فهي مثلاً في قطاع غزة أثقل كثيراً منها في أي بقعة أخرى في العالم. من جانب آخر، تبين أن هناك علاقة إيجابية بين مستوى الانخراط في العولمة وبين معدل زيادة دخل الفرد من إجمالي الناتج المحلي، وتشير الدراسات إلى إن زيادة نقطة واحدة في مؤشر العولمة يؤدي إلى ارتفاع دخل الفرد بمعدل 0.33 نقطة. وهو أمر تدركه الكثير من الدول التي ستبقى حريصة على العولمة في بعدها الاقتصادي خصوصاً.

من الضروري بداية، وفي ضوء الحديث عن العولمة أو عودة المنظور الواقعي التقليدي للعلاقات الدولية في أعقاب الكورونا، أن نفرق بين ظاهرة العولمة كعملية إجرائية Process وبين المنظور المعياري لها Normative، أي ضرورة التمييز بين العولمة كتعبير عن تداخل وتشابك آليات واطراف المجتمع الدولي لتشكيل نسيج عنكبوتي Cobweb وبين المنظور المعياري القائم على تحديد من المستفيد ومن المتضرر والمحاكمة الأخلاقية والإنسانية لها، فالجزء الثاني (المنظور المعياري ليس هو ما أريد مناقشته هنا لأن الباحثين "أشبعوه" بحثاً)، ما أريد التركيز عليه هو سؤال محدد: هل سيسير المجتمع الدولي نحو تمزيق خيوط عنكبوت العولمة بعد الكورونا كما يرى البعض؟

إن الارتداد إلى الترابط الآلي (العودة لمنظور الدولة القومية) مرهون بتراخي وتفكك مؤسسات الترابط العضوي (الترابط الاقتصادي والتقني وتقسيم العمل الدولي)، فهل يحتمل البناء العالمي حالياً تفكك مؤسسات الترابط العضوي؟ ذلك كله يعني أن تفكيك البنية التحتية للعولمة ليس بالأمر المتاح، لكن نهر العولمة سيبقى يتدفق دون نفي احتمال تعرض بعض روافده لتغيير في مجاريها أو في منسوب مياهها.

رابعاً: التداعيات السياسية بين العولمة والدولة القومية

يتمحور النقاش السياسي بين الباحثين في موضوع التداعيات السياسية للكورونا حول نقطتين مركزيتين هما: مكانة الدولية القومية في السياسات المحلية والدولية، فهل أدت الأزمة إلى انكفاء الدولة عن انخراطها في الشأن الخارجي، دولياً أو إقليمياً، بشكل كبير أم أن الأمر خلاف ذلك؟ في هذه النقطة، يميل قدر غير يسير من الكتاب والباحثين إلى الاعتقاد بأن الكورونا قصم ظهر العولمة، وأن الانكفاء مرة أخرى نحو "الدولة القومية" والعودة بهذه الدولة لوظائفها التقليدية وتفكك النظم الإقليمية واستعادة مفهوم السيادة الذي صقله جان بودان Jean Bodin في القرن السادس عشر، وأن الكورونا سينتهي بتفكك بنية النظام الدولي القائم حالياً، وتتضح هذه الصورة في كتابات ستيفن والت Stephen Martin Walt رائد الواقعية الجديدة، وبشكل لا يتوافق مع آراء جوزيف ناي) Joseph Nyeصاحب مفهوم القوة الناعمة) ويتوافق جزئياً مع آراء وليم بيرنز William Burns وغيره من المفكرين.

أما النقطة الثانية فهي هل ستؤدي تداعيات الكورونا إلى تنامي النزعة الصراعية بشكل يعيد صياغة بنية النظام الدولي أم أن التنافس السلمي سيتواصل خصوصاً بين القوى الكبرى؟بمعنى هل المجتمع الدولي في طريقه للعبة صفرية أم لعبة غير صفرية؟.zero sum-game or nonzero sum-game

بالنظر إلى الاتجاهات في بنية النظام الدولي المعاصر سنجد أنه "يعزز الترابط الاقتصادي والتقني" من ناحية، ولكنه ينطوي على تفتت سياسي واجتماعي متلاحق منذ 1945 من ناحية أخرى، وكلا الاتجاهين يؤثر كل منهما على الآخر أو، كما ترى نظريات الاقتصاد السياسي المعولم مثل المؤسسية النيوليبرالية والمدرسة القروسطية الجديدة أو نظرية "عبر الحكومية" أنه لا يمكن فصل أي منهما (الترابط والتفتت)، ويكفي النظر في أهم مظاهر التفكك:

إن المشهد القائم حالياً يعيدنا لنظرية إميل دوركهايم Émile Durkheim حول العلاقة العكسية بين الترابط العضويOrganic ، والترابط الآليMechanical بين الأفراد والمجتمعات، وعليه فإن العولمة ستقاوم أي نكوص عنها، مستفيدة من الملامح التالية:

1- إن الترابط الاقتصادي والتقني الذي يمثل الترابط العضوي يضعف الترابط الآلي القائم على العرق واللغة والدين والمذهب...إلخ، ومعلوم أن الدولة القومية (نموذج صلح وستفاليا The Peace of (Westphalia 1648في جوهرها قامت على أساس الرباط الآلي أولاً، وتعززت ببعض الروابط العضوية، لكن العولمة تعلي شأن الرباط العضوي على حساب الرباط الآلي، ومن هنا جاء تهديدها لمكانة الدولية القومية خصوصاً مع فيضان الخارج على الداخل في كل جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية. وعليه فإن العودة للترابط الآلي الذي أدى تفككه للتفتت الاجتماعي والسياسي لا يتيح المجال للدولة القومية لاستعادة عرشها بالسهولة التي تبدو للبعض، ومن المرجح أن الدولة التي تتمكن أولاً، كاتجاه فرعي، من إيجاد عقار للفيروس وتنجح في النجاة أولاً ستتعزز "قوتها الناعمة"، وستوظف هذه الدول، خصوصاً الكبرى منها، موضوع الفيروس لتعزيز مكانتها في إطار العولمة، لأن توظيفه Instrumentalise يعني تعزيز القوة الناعمة للذات، وهو أمر بديهي في إطار سياسة التنافس بين القوى العظمى، ويبدو أن الصين من خلال سرعة كبح تسارع الأزمة وتقديم المساعدات للدول الأخرى خصوصاً إيطاليا وغيرها (وهو ما لحقت به روسيا في إرسال مساعدات لإيطاليا) حسنت من هذه الصورة على الرغم من اتهامها بعدم "الشفافية" في بداية الأزمة، وهو ما قد يترتب عليه لاحقاً "بعض" التشنج في علاقاتها مع بعض الدول الأخرى على الرغم من دعوة رئيس منظمة الصحة العالميةWorld Health Organizationإلى "عدم تسييس موضوع الكورونا".

2- إن الحاجة المتبادلة لأسواق القوى الكبرى بعضها مع بعض سيدفعها نحو اللعبة غير الصفرية non zero sum game أي المزاوجة بين توظيف المصالح المتعارضة بطريقة لا تؤذي المصالح المشتركة التي أصبحت ذات وزن كبير في سياسات هذه الدول، خصوصاً في بعدها الاقتصادي والمالي والنقدي، وهي من أهم ركائز العولمة.

3- قد تزيد أهمية المنظمات الدولية المتخصصة مثل منظمة الصحة العالمية على الرغم من تشنجات ترامب نحوها، إذ أن العالم أصبح أكثر إدراكاً لمخاطر الأوبئة وخصوصاً انتشارها عبر الحدود، وهو أمر قد يمتد لتعزيز منظمات البيئة وغيرها من المنظمات خصوصاً ذات الطابع الخدماتي سواء أكانت منظمات دولية حكومية أم غير حكومية، وهو ما يعزز العولمة من جديد.

4- البعد الأيديولوجي: إن معطيات الصورة السابقة تشير إلى التوجه نحو المركب الهيجلي Hegel's complex القائم على دول تعتمد سياساتها على الجمع بين الاشتراكية (عدالة التوزيع)، وبين الرأسمالية (معدلات النمو)، وهو ما سيجعل العلاقات الدولية (بين الدول) أقل ميلاً للعنف فيما بينها،مقابل تواصل قدر من العنف الداخلي والحروب الأهلية في وضعية غير خطيةNonlinear،وهو تزاوج سبق لعدد من علماء العلاقات الدولية أن تنبأوا به مبكراً.

5 - يبدو أن الأزمة قد "هذبت" صورة المؤسسات العسكرية في أذهان الرأي العام العالمي نظراً لإسهامها في محاولات محاصرة آثار الوباء، ومثاله الحي في هذا السياق لحاق روسيا بغيرها من الدول لمطالبة الجيش بدور أكبر في مواجهة الكورونا. وهذه المهمة للقوة الخشنة سيمنحها المزيد من مساحة الحركة خصوصاً في دول العالم النامي، ناهيك عن احتمال تعزيز دورها اقتصادياً كما هو الحال في الصين ودول أخرى خصوصاً في الدول النامية.

6 - يبدو إلى حد ما أن المنظور الآسيوي في العلاقات الدولية اكتسب "بعض" الألق على حساب النقد المتزايد للمنظور الغربي من خلال المقارنة بين سرعة التكيف الآسيوي خصوصاً في مراكز الأزمة الوبائية قياساً لتلكؤ التكيف الأوروبي والأمريكي، وهو ما وصفه البعض بأنه بداية عملية نزع التغريبde-Westernisation أو بداية لمنظور مركب يتمثل في نموذج الويست WEAST الذي طرحه مبكراً بعض الباحثين السياسيين، والقائم على أساس أن ثقافة مجتمع العولمة سيكون على المدى البعيد مزيجاً من ثقافة "الشرق East وثقافة الغرب."West ء

7 - إن الكورونا سيدفع قوى الترابط العضوي إلى تكييف نفسها في بداية الأمر، وسيدفع الترابط الآلي بعض الشيء، لكن الترابط التقني (المواصلات والاتصالات والإنترنت) والترابط المناخي (بالمناسبة فإن الكورونا نتيجة شله للمصانع والطيران والمواصلات البرية دفع لانخفاض حاد في نسبة العناصر الملوثة مثل ثاني أكسيد الكربون، بل إن الصين خفضت من استخدامها للفحم بنسبة تقارب 40% طبقاً لبعض التقارير)، وبحسب المؤشرات ستكون استراتيجيتها القادمة هي ليس وقف العولمة بل "تنظيمها أكثر"، والتنبه لأبعاد جديدة بغض النظر عن التقييم المعياري لها.

8 - إن الأزمة دفعت العديد من الجهات الدولية للمطالبة بتخفيف العقوبات وسياسات الحصار على بعض الدول لتمكينها من مواجهة الوباء كما هو الحال في إيران أو فلسطين (في الضفة الغربية وقطاع غزة) وغيرهما في ظل الضغوط الإنسانية، وهو ما اتضح في مواقف المرشّحين الديموقراطيين الأمريكيين جو بايدن Joe Biden وبيرني ساندرز Bernie Sanders في مناشدتهما ترامب لتخفيف الحصار. وعليه فالعالم قد يتقارب لمواجهة الفيروس لكنه قد يتباعد مؤقتاً ليحمي كل طرف نفسه من أوزار الوباء.

9 - ستبقى الأبعاد الجيوسياسية على حالها لأن الفيروس لا يستطيع تغيير الجغرافيا. وعليه لا بدّ أن تلتفت أوروبا لجنوبها المتوسطي وجوارها الروسي، وقد تظهر بعض الشقوق في جدران الاتحاد الأوروبي أو في العلاقات الأوروبية الأمريكية لكن النسيج السياسي والاقتصادي والاجتماعي متشابك إلى حد يصعب تفكيكه بالشكل الذي يجري الترويج له.

الخلاصة

1 - سيتجه العالم بعد لجم تفشي الكورونا إلى إصلاح الأضرار الاقتصادية المترتبة على الكورونا والتي أدت إلى انخفاض معدل دخل الفرد في 170 دولة، لكنها لن تتمكن من ذلك إلا باستثمار هياكل العولمة القائمة مع محاولة الاستمرار في التنافس القومي لدفع مسارات العولمة باتجاه مصالح الدولة القومية، وهو ما سيدخل بعض آليات العولمة في مساومات قاسية قد تتخللها تشنجات سياسية دون الوصول بها لمرحلة الصدام المباشر بالوسائل الخشنة. لكن بعض الدول، كالتي تعتمد اعتماداً كبيراً على النفط، قد تعاني مزيداً من عدم الاستقرار بسبب تضافر شلل الحياة الاقتصادية نتيجة الكورونا من ناحية والهبوط الكبير في عائدات النفط (العراق، والسعودية، وفنزويلا، والجزائر، وليبيا، والمكسيك، والإكوادور، ونيجيريا،...الخ)، وبعض هذه الدول مثل المملكة العربية السعودية التي تعهد ولي عهدها محمد بن سلمان قبل أربع سنوات ببناء اقتصاد متحرر من الاعتماد على النفط، وبدأ بمشروعات لا يمكن إنجازها دون بيع النفط بسعر 80 دولاراً للبرميل بينما هو يرواح حالياً عند 20 دولاراً ستعاني أيضاً، وربما تضطر لمراجعة سياساتها ومشاريعها. وهناك دول عربية كانت تعتمد بشكل كبير على السياحة كأحد أهم مواردها الاقتصادية، لكن نهاية نيسان/ أبريل 2020 سجل خسائر للقطاع السياحي لدول الشرق الأوسط تقدر بنحو 40 مليار دولار يضاف لها 14 مليار خسائر شركات الطيران، وهما قطاعان مهمان للدول المركزية مثل مصر وتركيا وإيران.

2 - إن الوصول إلى عقار للتخلص من الكورونا، يمر بمراحل اكتشاف العقار ثم تجريبه ثم إنتاجه على نطاق واسع ثم توزيعه، وهو ما يعني أن الكورونا سيرافق الاقتصاد العالمي لفترة لن تقل عن سنة واحدة، وهو ما يعني استمرار الآثار السلبية التي قد تتسبب بآلام اقتصادية حادة لا سيّما في الدول الفقيرة لفترة تطول او تقصر طبقاً لآليات التكيف السياسي والاقتصادي والاجتماعي في كل دولة، وطبقاً لسرعة الوصول للعقار الشافي وعدم مواجهته مرة أخرى في السنة القادمة 2021.

3 - تحددت نتائج الانتخابات الرئاسية الأمريكية في عام 2020 بفوز جوزيف بايدن وساهمت في سرعة أو تباطؤ إيقاع التكيف في بنية النظام الدولي، فإن الرئيس الديمقراطي يعمل على إعادة تقليص مساحة الفجوات التي خلفها ترامب في شبكة العلاقات الدولية للولايات المتحدة خصوصاً مع أوروبا والصين وبقدر أقل في الشرق الأوسط. وفي هذا الإطار لا بدّ من عدم استبعاد وقوع موجات من العنف في الولايات المتحدة اذا استمر ارتفاع نسب البطالة واستمرار الحجر الصحي في بعض الولايات دون غيرها.

4 - إن الهزة العميقة التي أحدثها فيروس الكورونا تنبه الدول النامية، ومنها الدول العربية، إلى ضرورة إدراك أن بناء التكتلات الإقليمية المبنية على أسس سليمة هي الدرع الواقي على المدى البعيد لتأثيرات كل المتغيرات "قليلة الاحتمال عظيمة التأثير"، وعلى الرغم من القصور الذي ظهر على التنظيمات الإقليمية في مواجهة الكورونا، كما هو الحال في الاتحاد الأوروبي، إلا أن الحكم على وظيفة الاتحاد الأوروبي لظاهرة لم يتجاوز عمرها 4 شهور هو حكم متسرع، ونعتقد أن الاتحاد الأوروبي قد يستجيب للأزمة بعد امتصاص الصدمة والمفاجأة في سرعة انتشارها.

5 - نظن أن المِشحة السلمية في شبكة العلاقات الدولية ستضغط بقوة أكثر من مرحلة ما قبل الكورونا، وقد يظهر ذلك في أشكال تنظيمية دولية جديدة تعزز هذه المِشحة أو تعمل على تكييف البُنى القائمة بما يتناسب مع هذه النزعة، دون نفي أن النزعة الصراعية ستبقى قائمة ولو بحدة أقل من فترة ما قبل الكورونا. وبناء عليه، قد يكون الدور الاقتصادي والاجتماعي الخدماتي للقوة الخشنة هو الأكثر إلحاحاً في أدبيات العلاقات الدولية لا سيّما أنه لعب دوراً في هذا الجانب في الكثير من الدول ولو بقدر متباين.

بين الباحث إبراهيم القادري بوتشيش مرحلة مابعد الكورونا وتسأل (ما بعد كورونا .. صعود ناعم للشرق والتفكير في نظام عالمي بديل)(37)، حيث يقول انتهينا في توصيف نقط ضعف العولمة، ووقوفها لحد الآن بسبب منظومتها الصحية الريحية المتوحشة، عاجزة عن التصدي لوباء كورونا إلى إعادة طرح السؤال الوجودي، وموقف الإنسان من الحياة والموت في ظل نظام يعيش على تناقض مع كينونة الإنسان، وبالتالي صار يبحث عن نظام كوني جديد لا نزعم أنه سيحدث تغييرا جذريا في نظام العولمة الحالي، أو أنه سيجبر الولايات المتحدة على ترك مربع القيادة والمجد على المدى القصير، لكنه سيسفر على الأقل عن تغيير قواعد اللعبة، وتعديل في خرائط التحكّم، وبالتالي ظهور عولمة "معدّلة" وأكثر توازنا، واستحضارا للأمن الصحي، وسيكون للشرق، وخصوصا التنين الصيني الدور المؤثر في هندسته.

قراءتنا للسيناريوهات المحتملة لعالم ما بعد كورونا هي قراءة مركّبة، تتأسس على التوليف بين الأفكار التي طرحها المتخصصون والمفكرون الذين استطلعت آراؤهم حول مستقبل العالم بعد وباء كورونا في مجلة .Foreign policy كما ستستند إلى آراء بعض الفلاسفة، فضلا عن جملة الأحداث المتسارعة التي لا تزال تجري أمام أعيننا، مع تطعيمها ببعض الاجتهادات الخاصة التي تمنح روحها من سياق المنظور الحضاري للتاريخ.

وبفرضيتنا القائمة على أن الأوبئة تساهم في تسريع حركة التاريخ وتكثيف تحولاته، واقتناعنا بأن العالم فضاء متحرك دائم التغيير، يتجدد باستمرار، خاصة في ظل الانتقال من المفهوم التقليدي للحضارات القائم على قاعدة الأمم والحدود، إلى حضارة الشبكات العالمية القائمة على بنيات الاتصال وسلاسل التوريد التي توحّد الشعوب، وهي ما يسميها"باراخ خانا" بالكونكتوجرافيا (الجغرافية الاتصاليةConnectography) الذي تحل فيها القدرة على الاتصال مقام القوة العسكرية.

قبل وباء كورونا، كانت الأصوات تنادي بضرورة تغيير نظام العولمة باعتباره نظاما يفتقر لعلاقات اقتصادية عادلة، وأنه لا يعبّر عن مصالح السواد الأعظم من سكان الأرض، بقدر ما يعبّر عن مصالح الشركات العملاقة متعددة الجنسيات التي كرست الفقر في دول الجنوب، وألحقت الضرر بالبيئة والمناخ، مما يفسر تصاعد الحركات الاحتجاجية ومناهضي العولمة من مثقفين ومنظمات حقوقية ونقابات مناضلة وتجمعات أخرى من قبيل منظمة "العالم ليس سلعة " و"الطريق الفلاحي" و"أتاك"، وما في سلالتها من التنظيمات التي تصدّت للعولمة وفلسفتها البراغماتية.

لكن بعد استشراء وباء كورونا، وعجز الترسانة الصحية للنظام الرأسمالي الذي ترعاه العولمة، وتسارع ارتفاع أرقام عدّاد الموت، بدأت البشرية– جمهورا ونخبا- تطرح سؤالين سيكونان بمثابة القوة الدافعة لإعادة النظر في نظام العولمة بوصفها نظاما أحاديا، ومدى مشروعية القيادة الأمريكية للعالم:

1 - لماذا أخفقت الدول المنضوية في فضاء العولمة في التنبؤ بوباء كورونا، ثم تخبطت بعد ذلك في أساليب تدبير الأزمة، وعجزت عن الاحتواء السريع للجائحة؟

2 - لماذا غاب التضامن الدولي؟ وهو سؤال مستأنف لسلسلة الأسئلة التي طرحها العقل البشري عبر التاريخ حول معنى الإنساني، ومعنى الوجود الإنساني، وعن جدوى العلاقات بين البشر في ظل انعدام الروح الجماعية وانفلات دائرة التآزر. كما أعاد مراجعة ثنائية مفهوم الخير والشرّ، وأسباب تخلي الغرب عن القيّم التي بشّرت بها الأديان، وأفرزها عصر الأنوار، وكيف السبيل للرجوع للرشد وتصحيح المسارات الخاطئة للبشرية؟

السؤالان معا يشيران بأن ردّ فعل تحوّلي قادم. وإذا كان من غير المتوقع أن يحدث هذا التحول بضربة ساحر، فإن خطوطه الأولية بدأت في التشكّل، فكيف يمكن توقّع المشهد المرتقب؟

تصبّ معظم التوقعات لعالم ما بعد كورونا في أن الولايات المتحدة ستفقد موطأ قدم في الزعامة العالمية بسبب الرجّة التي أحدثها وباء كورونا في النظام العالمي. ولم يكن من باب الصدفة في هذا السياق أن يستخلص شيخ الدبلوماسية الأمريكية **هنري كيسنجر**، وهو الرجل الخبير المحنك، الذي مخر عباب السياسية العالمية وقرأ بإمعان مستقبلها **أن "عالم ما بعد كورونا لن يكون مثل ما قبل كورونا."**

ولم يكن غريبا كذلك أن يخرج عالم الاجتماع الفرنسي **"ألان تورين"** عن صمته الذي فرضه عليه ثقل السنين والهدوء العلمي، ليصرّح تعقيبا على تداعيات كورونا بالقول: **"لقد انسحبت الولايات المتحدة من لعب دور زعيم العالم." ولكننا نخالف هذا الرأي مع الآن تورين حيث أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تنسحب من دور زعيم العالم وخير مثال على ذلك دور وتأثير ونفوذ الولايات المتحدة الأمريكية على الزمة الأوكرانية والآن أزمة غزة،لأنها لازالت تمتلك مفاتيح إدارة الأزمات الدولية.**

ولم يبتعد الرئيس الفرنسي ماكرون ذاته عن هذا المنحى حين تنبأ في قمة السبع المنعقدة بفرنسا في 24 غشت 2019 بتراجع الهيمنة الغربية لفائدة القوة الشرقية. وحتى أصوات النشاز التي تعاكس احتمال الانحسار الأمريكي، فإنها ما فتئت تدعو إلى مراجعة مفهوم القوة والزعامة انطلاقا من التغيرات التي تشهدها بنية المجتمع الدولي، وهو ما عبّر عنه بتفصيل **جوزي.إس ف ناي Joseph.S.Nye في كتابه "مستقبل القوة"**، مما يشي بضرورة إعادة النظر في زعامة جديدة تكسر منظومة الأحادية القطبية القائمة على القوة العسكرية التي أثبتت فشلها في بناء نظام عالمي مستقر، والاتجاه رأسا نحو البحث عن نظام بديل نعتقد أنه سيكون متقاسما، أو على الأقل ستشارك في توجيه دفّته الزعامات الشرقية والقوى الاقتصادية الناعمة مثل الصين، تايوان، ماليزيا، سنغافورة وكوريا الجنوبية والقوى التقليدية كاليابان، وما في نظيرتها من دول الشرق الأنيقة التي أثبتت كفاءتها في تدبير الأزمات، وضمنها أزمة كورونا.

ويبدو أن آسيا في ظل الاقتصاد العصري المؤسس على تطوير البنية التحتية وسلاسل التوريد والمدن الضخمة، والتكنولوجيا وموارد الاتصال، قد بدأت في تحقيق قفزة نوعية من حيث التخطيط لشبكات السكك الحديدية الفائقة السرعة للربط بين المدن الآسيوية، مما ساهم في تسويق مواردها الزراعية ومخرجاتها الصناعية، ونجحت في تجميع سلسلة المدن الضخمة الآسيوية في فضاء حضاري أنيق نعته "باراج خانا" بالسلام الآسيوي .Pax Asiana "غير أن الصين تشكل قطب الرحى في هذه الزعامة الاقتصادية الشرقية الجديدة في تقديري. لماذا الصين؟

يتأسس تفسيري لذلك على ثلاثة معطيات تشكل اليوم المطالب الأساسية للبشرية وهي: **الأمن الصحي** الذي كلما انعدم اهتز استقرار المجتمع، ودبّ فيه الخوف والهلع، **والبحث العلمي** الذي يخدم البشرية، **ثم الإنتاج الاقتصادي** القليل التكلفة الذي يحصّن حاجيات الإنسان الضرورية وأمنه الغذائي.

1- بخصوص الأمن الصحي، يبدو - وأنا بصدد الدفاع عن أطروحتي القائمة على تأثير الأوبئة في سقوط حضارات وصعود حضارات أخرى- أن الصين تعدّ ولو مؤقتا الجواد الرابح في الحرب الكونية ضد كورونا، بما أثبتته من دور مرموق في مكافحة الوباء، وإدارة محكمة في تدبير المعالجة والتصرف، وتضييق الخناق عليه، حتى أن المدينة التي ظهر فيها " ووهان" عادت لحياتها الطبيعية، ودبّت الحياة في شرايين المجمع الصيني من جديد. وجاءت زيارة الرئيس الصيني لها مباشرة بعد انحسار الوباء، حدثا محمّلا برسائل بليغة للعالم، وبدلالات عميقة على مناعة الصين، وقوة منظومتها الصحية نسبيا وجاهزيتها للزعامة. ولم تكتف بذلك، بل زادت من تلميع صورتها "القيادية" من خلال تقديم المساعدات للدول المتضررة من انتشار وباء كورونا بما في ذلك الولايات المتحدة ذاتها، فكسبت أيضا معركة التضامن العالمي، وساهمت بذلك بنصيب في التخفيف من مخاوف العالم، وإظهار نفسها في صورة البطل المنقذ، مما يحيل على جدارتها في التربّع على عرش الزعامة العالمية.

2 - على مستوى البحث العلمي: لا تزال المختبرات الصينية والأمريكية والأوربية منكبّة ليل نهار على إنتاج لقاح يهدئ من روع العالم، ويقضي نهائيا على فيروس كورورنا العدو المشترك للإنسانية. هذا دون إغفال تصدّر الصين للائحة براءات الاختراع العلمي؛ مصداق ذلك ما ذكرته المنظمة العالمية للملكية الفكرية في 7 أبريل 2020 أن الصين تجاوزت الولايات المتحدة في عدد براءات الاختراع لأول مرة منذ سنة 1978. وهذا الصعود السريع للصين، يؤكد تحوّل بوصلة مركز الابتكارات العلمية نحو الشرق.

3 - أما على المستوى الاقتصادي الذي يتيح لها الأخذ بناصية الزعامة، فقد حققت الصين المعجزة الاقتصادية كما يشهد بذاك انتقالها من المركز السادس دوليا بناتج كان يقدر ب1.6 ترليون دولار سنة 2003، إلى المركز الثاني بعد الولايات المتحدة بناتج 14 مليون دولار. وتشير مؤسسة كولدمان ساكس" في هذا الاتجاه أن الاقتصاد الصيني سيحتل المرتبة الأولى في أفق سنة 2027، مع محاولة إقامة نظام مالي بديل يقزّم سلطة الدولار، ويقلّص من هيمنته على شرايين الاقتصاد العالمي. وحسب توقعات بعض الخبراء، فثمة إمكانية تعويض عملتي الدولار والأورو بعملة عالمية جديدة تتماشى مع المنهج الاقتصادي الجديد الذي ستقوده الصين مستقبلا.

ومما زاد الطين بلّة في ظل هذا الاقتصاد العالمي المتدهور، ظهور مؤشرات تنطق بوجود حرب باردة بين أمريكا والصين لم تسكتها وخزة فيروس كورونا. فاتباع استراتيجية أمريكية عقابية تجاه الصين قبيل جائحة كورونا بفرض رسوم جمركية بنسبة 10٪ على البضائع الصينية بقيمة 300 مليار دولار، وردّ الصين عليها بإجراءات مماثلة على منتجات أمريكية، عكست الوضع الاقتصادي المتردي.

وجاء وباء كورونا ليصبّ الزيت على النار، وتجلت مشاهد هذه الحرب الأمريكية- الصينية في التلاسن والاتهامات المتبادلة بين الطرفين، وصلت إلى حدّ وصف الرئيس الأمريكي السابق ترامب فيروس كورونا بأنه "فيروس صيني.

ومع أن هذا التحول المرتقب يبدو مثاليا على المدى القصير على الأقل، لكن في ظرفية الأزمة العالمية الحالية، وما خلفه وباء كورونا من فضح لأخلاقية النظام العولمي، ومتاجرته بصحة البشر، والإخلال بحقهم في الوجود، تبقى كل السيناريوهات محتملة. ربما تكون هذه التوليفة بين الغرب المتراجع، والشرق الصاعد، في سياق منظومة تعاونية وتكاملية، بعيدا عن أي تنافس محموم أو صراع، هو ما عبّر عنه كيسنجر في مقال له بصحيفة "وول ستريت جورنال" حين انتقد بشدة التعامل الأحادي لكل دولة من دول العالم في مواجهة فيروس كورونا، وأوصى بضرورة إيجاد "برنامج لتعاون دولي". ولبلوغ ذلك يكفي تعديل المنهج الاقتصادي العولمي، القائم على الجشع والنهب وحصار الشعوب وتجويعها، ومراجعة القانون الدولي، وتعديل بعض بنوده المتعلقة بالأمن الصحي العالمي، وتكثيف التعاون في مجالين أساسيين:

أولها مجال البحث العلمي، وخاصة العلوم الصحية بهدف تأمين صحة الإنسان التي غدت بعد كورونا تتسنم سلّم الأولويات، وهذا ما يبشّر به مشهد الرئيس الفرنسي وهو يسارع الخطى من باريس إلى مارسيليا ليجلس مصغيا باحترام للطبيب "راؤول"، ويستلهم منه الدرس حول دواء الكلوروكين، وكذا مشهد ترمب هذه الأيام محاطا بخبراء أثناء عقد ندواته الصحفية، على رأسهم طبيب علم الأوبئة. فالحقبة التاريخية الجديدة صارت تملي ضرورة إصغاء الحكام للعلماء، أو على الأقل كما قال الفيلسوف الألماني هابرماس في مقابلة له مع جريدة لوموند الفرنسية يوم 10 أبريل أن على الحكام (اتخاذ قرارات بوعي واضح بحدود معرفة علماء الفيروسات الذين يقدمون لهم المشورة).

أما المجال الثاني فهو مجال الأخلاق، أي أخلقة مجال البحث العلمي والطبي ذاته، وتطهير العلوم من المافيات المتاجرة بأرواح البشر، وجعله تحت توجيه النخب العالمة التي تراعي كرامة الإنسان وتحرص على حق الأرض والبيئة في العيش في طهرانية.

وإذا أردنا الاستفادة من دروس ماضي البشرية الطويل أو ماضي الغرب القريب، أو تجارب دول الشرق الصاعدة للخروج من حالة الانسداد، وتأسيس حقبة تاريخية جديدة لعالم راشد، وحضارة بشرية ناضجة، فإننا نستنتج أن البقاء سيبقى للأمم والحضارات التي تطور هذين المجالين، وتسييجهما بسياج سميك من العدالة والمساواة. على سبيل الختم: قد يعترض معترض أن حدث كورونا لم ينضج بعد، وبالتالي ينبغي التسلح بالاحتراز والتأني وعدم الوقوع في القراءات المتسرعة. كما قد يقول البعض أن هذه الكارثة التي حلت بالبشرية مجرد أزمة عابرة ستنقشع بعد حين، وستسترجع الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي عافيتها، وتعود الأمور إلى طبيعتها، ويعود النظام العالمي بخريطته الجيو- سياسية كما كانت تحت الهيمنة الأمريكية.

وهذا في التقدير هو السيناريو الأسهل الذي لا يجعل أي مفكر يتعب قلمه للتفكير في مصير عالم ما بعد كورونا أو حتى القبول المبدئي بأن حقبة تاريخية جديدة ستتشكل. لكننا على عكس هذا المجرى، حاولنا من خلال الحلقات الثلاث تقديم الاحتمالات الممكنة تأسيسا على معطيات بارزة اتضحت حتى قبل جائحة كورونا، ولم تقم هذه الأخيرة سوى بالتسريع بها، وهو ما سعينا أيضا إلى تدعيمه انطلاقا من بناء سؤال الوباء في التاريخ، وما يفرزه من تغيّرات في الأنظمة وتداول الحضارات، وما يرتبط بذلك من أسئلة الراهن لاستبصار ما يلوح في المنظور الاستشرافي للعالم، من خلال رسم الخطوط الأولية لمجموعة من المؤشرات التي تجعله ينحو نحو حقبة تاريخية جديدة، يصبح فيها التفرد الأمريكي يعيش لحظات خريفه. صحيح أن القضاء على فيروس كورونا سينتهي يوما ما، لكن – وهذا هو الأهم – فإن تداعياته التي قد تستغرق عقودا، ستؤدي في النهاية إلى التحولات التي تصدينا لمعالجتها، وستعيشها الأجيال القادمة. أستشهد هنا بفحوى ما حبّره كيسنجر في صحيفة "وول ستريت جورنال" بأن الانعكاسات الوخيمة التي خلفها وباء كورونا في المجال الصحي قد تكون مؤقتة، إلا أن الاضطرابات السياسية والاقتصادية المتمخّضة عنها ستستمر لأجيال متتالية، وهي إشارة مضمرة إلى ما سيعرفه نظام العولمة من شروخات وتناقضات ستشكل وقودا لحزمة من التحولات، ليدخل العالم في حقبة تاريخية جديدة من غير المنتظر أن تكون على المدى الراهني، بل ستمتد على مدى عقود، وسيكون للشرق نصيبه في هذه التحولات بناء على القرائن التي حاججنا بها، ووفقا لقانون التداول الحضاري كما علمنا التاريخ.

وتسألت الدكتورة نادية هناوي في مقالة لها بعنوان هل ينهي الفيروس العولمة كمرحلة؟(د. نادية هناوي هل ينهي الفيروس العولمة كمرحلة؟)(38) خرق فيروس كورونا النظام العالمي ككائن ما بعد مجهري ينذر البشرية بالفجيعة، ويضعها على شفا حفرة من هلاك تام، والسبب قوة تفشيه التي أيقظت العالم على مرحلة جديدة صار يعايشها مذهولاً ويحاول أن يعيها مرغماً بفزع كبير. وطبيعي جداً أنْ تتخذ هذه المرحلة اسمها من اسم الذي أرعبها لتكون (كورونية) نسبة لهذا الكائن الذي اجتاحها بلا سابق إنذار وجعلها ممددة بمخاوف لا حصر لها ولا عد.

ويبدو أنّ الكورونية ستُنهي العولمة كمرحلة عالمية سعت نحو تحقيق الاندماج والتداخل والانفتاح فكانت النتيجة شكلاً مستجداً من فيروس يهدد العموم البشري جاعلاً العالم عبارة عن جماعة تربطها قرابة متخيلة بوصف بندكت أندرسن. ولم يعد العالم قرية صغيرة كما كان زمن العولمة. إنه الآن بيت صغير وأفراده متضايفون فرضاً لا اختياراً، وواجب كل واحد التكاتف لمواجهة الخطر الذي إذا وقع على الواحد شمل المجموع لا محالة، وكأن بني البشر ارتدوا كما في بدايتهم الأولى إلى الكهوف.

وها قد غدا ما ألقته العولمة على كاهل البشرية من مسائل وأزمات في كفة، وما سببه فيروس كورونا على طارئيته وحداثة حضوره في الكفة الأخرى وصار الفرد يحسب لنفسه وللجماعة حساباً جسدياً تباعدا وتقاربا.

ولكننا نخالف هذ الرأي مع الدكتورة نادية هناوي حيث اثبتت الوقائع نقيضه إنهزمت الكورونا وإنتصرت العولمة .

وبدت الكرة الأرضية بمحيطاتها وقاراتها وأقاليمها وبلدانها وأممها وشعوبها ومنظماتها في مواجهة عدو هو أصغر من الصغر لا يعرف الجهات بشرقيها وغربيها ولا يعنيه التفوق التكنولوجي والصناعي غير مفرّق بين الأغنياء والفقراء ولا ناطحات السحاب والمساكن العشوائية وليس محتماً أن يكون مضيفه شاباً أو كهلاً، متعلماً أو جاهلاً، أسود أو أبيض، مؤمناً أو غير مؤمن

ولأن العولمة لم تعط الأجساد أهمية وجدت البشرية نفسها فجأة وبشكل طارئ وغير محسوب أمام عدو يترصدها بالتهلكة ويهددها بالعدوى متفشياً في كل ميادينها وقد توقفت بظهوره برامج التسلح ومشاريع غزو الفضاء وأرجئت مشاكل البيئة كالاحتباس الحراري وتناقص موارد المياه وتأجلت أزمات اقتصادية بدءاً من نضوب الطاقة إلى كوارث المجاعة والبطالة والهجرة وغدا الاهتمام موجهاً للأجساد التي صارت لها الأولوية، وصار الهم كله محددا في كيفية الحفاظ على هذه الأجساد سليمة ومعافاة.

بهذه النظرة الكلية للجسم تتوضح خطورة المرحلة الكورونية التي تختلف عن المراحل التي سبقتها في أن المعرفة فيها مجسدنة. وإذا كنا قد عرفنا كيف أن النمذجة بالذكاء البشري أتاحت مجالا معرفيا لبرمجيات الذكاء الصناعي وبرامج الحاسوب الآلي؛ فإن في خارطة الجسد البشري مناطق بحث معرفية ما زالت بكرا وأهميتها تتعدى كل أجندات التكنولوجيا النووية والهندسة الجينية وأنظمة التحكم بالصواريخ وحمل الرؤوس النووية، التي ما استطاعت إنقاذ البشرية من خطر ما بعد مجهري داهمها على حين غفلة.

وفي هذا درس تتعلمه البشرية وهي تواجه الكائنات الفيروسية كهدوة أزلية للبشر تتحداهم، والبشر يتحدون أنفسهم في مواجهتها كأنموذج تواصلي به يثبت البشر ذكاءهم ويدللون على تقدم علومهم ومستواهم الدماغي والرمزي والسلوكي والذاكراتي والتعلمي والبصري.

ومثلما قالوا قديما العقل السليم في الجسم السليم صار الجسد هو السمة المتعالية في الكون، ولم يعد العقل بمفرده هو الجوهر والسبب صلته الوثيقة بالأجزاء الجسمية الأخرى التي لا يمكن إنكارها أفعالا واستجابات مادية وتجريدية. والجسم لا يتطور إلا وهو متشكل بالعقل الذي هو متطور باستمرار بما يشبه التطورية الدارونية ومتحرر بحياة مشاعية واعتيادية وروح مشتركة نعيش فيها ضمن نسق تصوري كلي.

ولأن الإنسان بكليته هو الكيان المجسدن الذي فيه يكمن ما يهدده صار فرضاً عليه وواجباً أن يعيد التفكير في حقيقة هذا الجسد وأهمية معرفة ألغاز كينونته: مم يكون؟ وكيف يكون؟ ولماذا يكون؟ اللافت أن العولمة كظاهرة تستوعب المستجدات ليس لصالح البشر وإنما لإدامة سيطرتها عليه والتحكم بمقدراته وها هي اليوم توظف منجزات التكنولوجيا والذكاء الصناعي من أجل الإستمرار في مواجهة التحديات والأزمات.

ويرى الدكتور مصطفى البرغوثي في مقالة بعنوان العالم بعد كورونا.. إما ثورة اجتماعية أو الفاشية (د.مصطفى البرغوثي ، العالم بعد كورونا.. إما ثورة اجتماعية أو الفاشية) (39) مثلما كشف وباء كورونا عيوب النظام النيوليبرالي العالمي، فإنه عرّى وفضح السياسات العنصرية، وأنماط التسلط والهيمنة الاقتصادية والسياسية.

وأظهر الوباء قصور السياسات العالمية، في معظم دول العالم، عن توفير الموارد للصحة، والتعليم، والبحث العلمي، وجاءت فداحة الكارثة التي حلت بالبشرية جمعاء لتجرم المنظومة القائمة على قياس كل شيء بمنظار الربح الرأسمالي، مما أدى سابقا إلى إغلاق آلاف المستشفيات، وإفقار مئات مراكز البحث العلمي والجامعات، وحصر الاستثمارات فقط فيما ينتج ربحا، دون أدنى احترام لصحة الإنسان وسلامته باعتبارها الربح الأكبر للبشرية.

وقد صار مؤكدا أن كارثة كورونا ستؤدي إلى أزمة اقتصادية عالمية غير مسبوقة، وخسارة تقدر بتريليونات الدولارات، وكساد قد يفوق الكساد العالمي الكبير عام 1929، والذي أنتج الفاشية، والنازية، والحرب العالمية الثانية.

كل ما جرى يؤكد الحاجة إلى ثورة إجتماعية عالمية شاملة تعيد توجيه مسار البشرية، نحو العدالة الاجتماعية، وتطوير المؤسسات والقدرات الصحية، ومراكز البحث العلمي.

ثورة تعيد هيكلة النظام الاقتصادي العالمي بما يوقف تلوث البيئة، ويكرس الموارد للوقاية من أي أوبئة أو كوارث طبيعية محتملة.

ومثلما اجتاح وباء الكورونا العالم، دون اعتبار لحدود، أو جدران أو حواجز، فإن مواجهة آثاره لا يمكن أن تُحصر في بلد أو بلدان، بل لا بد أن تكون عالمية في عصر صارت معه البشرية تعيش في قرية عالمية اسمها الكرة الأرضية.

لكن يخطئ من يظن أن القوى الاستغلالية، و العنصرية، والاستعمارية ستستسلم للتغيير بسهولة، ولا شك أنها ستحاول استخدام كل قوة ممكنة للحفاظ على مصالحها الأنانية.

وهل هناك دليل على ذلك أفضل من سلوك دونالد ترامب الذي ارتكب خطيئة تجاه شعبه، بتجاهل تحذيرات الخبراء والأطباء من إنتشار وباء الكورونا، وتقاعسه عن القيام بالإجراءات الوقائية نزولا عند أطماع داعميه من كبار الاحتكاريين. وبدل أن يعترف بأخطائه، يواصل بإسلوب هستيري، البحث عن أكباش فداء لإلقاء اللوم عليها، بموت آلاف الأمريكيين وإصابة مئات الآلاف بالوباء.

فمن مهاجمة الصين وتسمية وباء الكورونا بالفيروس الصيني، إلى مهاجمة حكام ولاياته، إلى تحريض الناس بأسلوب شعبوي ضد إجراءات الوقاية الصحية، وأخيرا الهجوم على منظمة الصحة العالمية، و ارتكاب أم الخطايا بقطع التمويل عنها، في وقت تقود فيه المواجهة العالمية لوباء الكورونا. وهذا الاتجاه الخطير يمكن بسهولة أن يتحول نحو الفاشية لحماية مصالحه كما جرى في ثلاثينات القرن الماضي.

لن تستطيع قوى التغيير لصالح البشرية والإنسانية أن تواجه وتنتصر على غوغائية و شعبوية ترامب وأمثاله، إلا بتنظيم نفسها شعبيا وسياسيا، وتبني نهج تغيير ثوري وجذري.

ولن يستطيع شباب وشابات العالم أن يحموا مستقبلهم و إنسانيتهم، من توحش النيوليبرالية ومخاطر الفاشية، إلا إذا انخرطوا في حركات اجتماعية، وتنظيمات سياسية تكافح من أجل مستقبل أفضل للبشرية. ولا يجوز أبدا التقليل من إحتمالات ظهور نزعات فاشية خطيرة، فبوادر ذلك كانت واضحة في تصاعد الشعبوية والتطرف العنصري البغيض في الولايات المتحدة، وعدد من البلدان الأوروبية، وفي تعاظم ظواهر كره الأجانب، واللاجئين، والمهاجرين، وفي التسامح مع ظهور نظام أبرتهايد عنصري جديد. ليس أمام العالم بعد جائحة الكورونا إلا واحد من طريقين، إما ثورة اجتماعية تحقق العدالة الإجتماعية والإنسانية، أو مواجهة خطر صعود الفاشية من جديد.

وبخصوص سيناريوهات الخروج وملامح السياسات الإنتقالية في النظام الدولي بعد الجائحة وهي كتاب من تأليف مجموعة مؤلفين والتي صدر باللغة الفرنسية عام 2022 وقام بعرض الكتاب الباحثة دينا محمود(40). حيث تؤشر المتغيرات الدولية الراهنة إلى حالة من الفوضى في تفاعلات النظام الدولي قد يتمخض عنها فرض واقع جديد، إذ يمر هذا النظام بمرحلة انتقالية من أبرز ملامحها، الانسحاب الأمريكي من أفغانستان، والتعثرات الاقتصادية لواشنطن، والانكفاء الأوروبي على الأزمات الداخلية، فضلاً عن تصاعد أزمة المناخ التي بدأت تلقي بانعكاساتها على العديد من القضايا الدولية، مقابل التفوق الصيني المستمر على مختلف الأصعدة.

في هذا السياق، يسعى كتاب "سياسات المرحلة الانتقالية: الصين والوباء والمناخ" الذي صدر باللغة الفرنسية في النصف الأول من عام 2022 إلى فهم طبيعة التحولات التي تطرأ على السياق الدولي الراهن من خلال رؤى مجموعة كبيرة من الباحثين، إذ يتناول الكتاب أولاً، أبعاد التنافس الحالي بين الولايات المتحدة والصين، ثم ثانياً، ملف التحولات البيئية المرتبطة بالتغيرات المناخية، وثالثاً وأخيراً، تحليل ملامح السلطة الجديدة بعد جائحة كورونا، وتعتمد طريقة الطرح في هذا الكتاب على عرض وجهات نظر متباينة حول كل قضية.

أولاً: صراع النماذج السياسية:

تبدو أزمة جائحة كورونا، وكأنها ثورة أكثر من كونها أزمة عابرة، فقد سلّطت الضوء على الاتجاهات التي كانت تتجلى بالفعل على نطاق عالمي، لكنها لم تكن مرئية بشكلٍ واضح بعد، كما أدت الجائحة إلى تسريع وتيرتها، فقد أكدت أزمة كورونا حقيقة أن الصين باتت تمثل قوة حقيقية حاملة لنموذج عالمي بديل للديمقراطية الليبرالية على النمط الغربي، في المقابل، باتت الإدارة الأمريكية تتبنى منطق المواجهة الشاملة مع الصين، وهو ما انعكس في خطاب جو بايدن أمام الكونجرس في أبريل 2021، والذي دعا إلى الإعداد المسبق لمواجهة تاريخية بين الديمقراطية والأوتوقراطية، هذا التنافس يُمكن أن يتبلور فيما يلي:

1) صدام أيديولوجي جديد:

كشفت السنوات الأخيرة بوضوح عن ملامح النموذج الاستبدادي الصيني، حيث امتدت المراقبة الجماعية إلى جميع السكان، لكن يبقى المحرك الذي يعتمد عليه نجاح هذا النموذج ليس القمع، بل مبدأ الرأسمالية الليبيدية libidinal، والذي يتمثل في تحويل الأماكن العامة، المادية والافتراضية، إلى أماكن توفر إحساساً بالأمن وفرصاً للقاء والاستمتاع، بمعنى "وهم اختيار محصور بدقة ضمن حدود رسمتها السلطة".

ويختلف جوهر الصراع الأيديولوجي الحالي بين الغرب والصين كثيراً على ذلك الصراع الذي شهدته مرحلة الحرب الباردة إبان حقبة الاتحاد السوفييتي، فالصين باتت توفر لمواطنيها نمطاً للمعيشة يتشابه كثيراً مع الغرب، لكنها في المقابل، تتبنى مفهوماً معيناً للسلطة وممارستها، مفادها السيطرة الكاملة على العلاقات الاجتماعية وحياة رعاياها بهدف خلق تناغم اجتماعي، وذلك بفضل الإنترنت وتقدم الذكاء الاصطناعي، حيث يتم وضع نظام قوي بهدف ضمان توافق سلوك الأفراد مع التكوين الاجتماعي الذي لا يمكن قياس تطوراته فحسب، بل التنبؤ به والتأثير عليه قبل كل شيء.

2) قيادتان سياسيتان متضادان:

تعد الصين دولة حزبية ظهر فيها نظام سياسي جديد منذ وصول "شي جين بينغ" إلى السلطة، فهناك ديناميكية لتحول هيكلي أكثر فاعلية، وقد أدى ذلك إلى تقوية الحزب الشيوعي داخلياً وإعادة تشكيل علاقاته مع جميع مؤسسات الحياة العامة، حيث تقع العلاقة بين الحزب والدولة في قلب السياسة في الصين، مع ذلك، فإن تقسيم العمل بين الحزب والدولة يظل غير مفهوم جيداً من قبل الأطراف الخارجية، ووفقاً لشي جين بينغ، يجب أن تكون كل دولة حرة في متابعة طريقها الوطني الخاص نحو الحداثة ورفض التأثيرات الأيديولوجية الغربية، والتي تختلف عن رؤية إدارة بايدن التي تنطلق من نقطتين مركزيتين، هما: التهديدات كنقطة انطلاق، والوسيلة باعتبارها قلب الاستراتيجية، بيد أن الصين أصبحت النقطة الوحيدة للتلاقي السياسي في الداخل الأمريكي ومواجهة التفكك الحالي للتماسك الداخلي للبلاد.

3) الرأسماليات السياسية:

في السنوات الأخيرة، أثار تعبير"الرأسمالية السياسية" اهتماماً متزايداً، والتي صاغها ماكس فيبر، وتُستخدم لوصف الأنظمة التي ترتبط فيها السلطة السياسية بالمطالب الاقتصادية ارتباطاً وثيقاً، وفيما يتعلق بالحالة الصينية، فعلى الرغم من عدم وجود ممثل للحزب الشيوعي في الشركات متعددة الجنسيات، على غرار شركة علي بابا أو أمازون، حيث يعمل رواد الأعمال الصينيون في مجال التكنولوجيا في بيئة تحميهم من المنافسة وتمكنهم من اكتساب مزايا تنافسية هائلة، فإنه لا يمكن للشركات الخاصة أن تتعارض مع إرادة الحزب، إذ لا يمكنها تعزيز الحريات السياسية بما يتعارض مع القانون الصيني، ولا ترفض طلبات التعاون في مسائل الأمن القومي، إذ يمارس الحزب الشيوعي الصيني احتكاراً فعلياً للقوة، حيث يقوم بالاستفادة من قدرات الشركات الرقمية ومحاولة دمج أهدافهم.

أما فيما يتعلق بالرأسمالية السياسية الأمريكية، فعلى الرغم من تأثير العولمة في إحلال قوى السوق العالمية محل القرارات السياسية في الولايات المتحدة إلى حدٍ كبير، فإن الاستثناء الوحيد الممكن هو الأمن القومي، بالتالي، فالدولة ذات القطاع الخاص الأكثر تطوراً في العالم هي أيضاً القوة التي تمنح نفسها حتمية قاطعة لحماية تفوقها العسكري والتكنولوجي بأي ثمن، حتى من خلال التدخل العنيف في الأسواق، حيث تتدخل الحكومة في العمليات الاقتصادية عند الضرورة من أجل تعبئة القطاع الخاص وتوجيه قدراته الابتكارية نحو حماية المصلحة الوطنية.

ثانياً: حرب مناخية زائفة:

توضح السياقات الراهنة أن النظام الدولي يشهد "حرباً مناخية" ، حيث يتم وضع القطع على رقعة الشطرنج لتوازن القوى الوطنية والدولية، لكن لم يتم لعب أي منها بعد، فالوضع الليبرالي القائم لا يزال يُبقي هذا الصراع الجديد ساكناً، وتتبلور أبرز محاور الأزمة البيئية في:

1) المنظور الاقتصادي للمناخ:

لطالما استمر الانفصال التام تقريباً بين اقتصادات المناخ وسياسة الاقتصاد الكلي منذ فترة طويلة، إذ نظر علماء الاقتصاد الكلي إلى المناخ باعتباره موضوعاً مهماً، لكن على المدى الطويل، وحالياً يقوم الاتحاد الأوروبي بإحداث تغيير كبير من خلال وضع برنامج مناخي طموح، خاصة مع زيادة الوعي بالأزمات البيئية، لكن يكمن التحدي الرئيسي للعمل المناخي في الانتقال من سياسة هامشية حتى الآن إلى أخرى أكثر مركزية تشكل أساس جميع القرارات الجماعية مما يتطلب تغييراً في عقلية صانعي القرار.

2) ممارسات العنف الكربوني:

في نهاية يوليو 2021، نشرت مجلة Nature Communications دراسة حول كيفية تسبب انبعاثات ثاني أكسيد الكربون في وفاة الأفراد، وقامت الدراسة بحساب عدد الوفيات التي ستنخفض عن انبعاثات الكربون خلال بقية القرن الحالي، حيث أشارت إلى أن كل ثلاثة ونصف من الأمريكيين سيصدرون ما يكفي من ثاني أكسيد الكربون لإنهاء حياة شخص واحد، بينما يحتاج 146 مواطناً نيجيرياً لتحقيق النتيجة نفسها.

لكن تبدو هذه التقديرات مرشحة للتضاعف، كون أنها انطوت فقط على الوفيات المرتبطة بمخاطر الاحتباس الحراري، لذا يجب النظر إلى الوقود الأحفوري المستخرج من الأرض على أنه مقذوفات أطلقت بشكلٍ عشوائي على البشرية، على غرار الأسلحة المنتشرة في الولايات المتحدة، وهو ما يمكن أن نسميه العنف المناخي، فالوقود الأحفوري يقتل الناس فعلياً.

3) الميثاق الاجتماعي الأخضر:

كانت الدعوات إلى مواثيق خضراء أو حزم تشريعية موجودة منذ سنوات في أوروبا والولايات المتحدة من دون أن تنجح، وتم تأكيد هذا المطلب الشعبي للعمل المناخي في استطلاعات الرأي، بالتوازي مع الانتخابات الأوروبية، حيث طالب رؤساء الدول والحكومات الأوروبيون صراحة بأن يكون العمل المناخي أولوية بالنسبة للاتحاد مع مراعاة عواقبه الاجتماعية، لذا تم اقتراح على البرلمان الأوروبي تنفيذ صفقة خضراء.

وتنص الصفقة الخضراء الأوروبية Green deal على أن "جميع إجراءات وسياسات الاتحاد الأوروبي يجب أن تساهم في تحقيق أهداف هذه الصفقة لأوروبا"، إلى جانب مراجعة سياسة الاتحاد الأوروبي للمناخ والطاقة، إلا أن هذا المطلب يؤثر على جميع إجراءات الاتحاد، وتمثل "الصفقة الخضراء" في الوقت الحالي أدق مشروع لمسار إزالة الكربون، وهو يمنح الاتحاد الأوروبي الوسائل لتجسيد دور قيادي في دبلوماسية المناخ، ومن المحتمل أن تكون الصفقة الخضراء ثورة سياسية يمكن أن تغير هوية أوروبا.

ثالثاً: عودة الدولة التدخلية:

يبدو أن مصطلحات الجغرافيا السياسية الكلاسيكية قد عادت إلى الظهور في العامين الماضيين، فحتى قبل جائحة كورونا أصبح العالم خطيراً مرة أخرى، كما اقترح جوزيب بوريل الممثل السامي للاتحاد الأوروبي للشؤون الخارجية والسياسة الأمنية، في دعوته لتطوير "بوصلة استراتيجية" للاتحاد الأوروبي، في ظل تصاعد التهديدات المطروحة وتراجع قدرة الدول الأعضاء للتعامل معها.
وعلى مدار الثلاثين عاماً الماضية، كانت فكرة أن الدولة تضعف بشكلٍ مضطرد في مواجهة انتصار السوق بديهية، فقد أدت العولمة إلى إضعاف سيطرة الدولة على السياسات النقدية والصناعية، وكذلك الإدارة المالية والتجارية، حيث فقدت الدولة بعض أبعاد سيادتها، لكن هذه الرؤية للعالم، المهيمنة منذ فترة طويلة، بدأت تنهار منذ بداية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، حيث عادت إلى الظهور القوة التقديرية للدولة التدخلية.
كما سلَّطت أزمة جائحة كورونا الضوء على اعتماد المواطنين على الخدمات العامة، بدءاً بالصحة، وكشفت بالتالي عدم عقلانية سياسات التقشف التي نُفِّذت بعد أزمة عام 2008، وكان أحد المبادئ الأساسية للنيو ليبرالية هو تفضيل الميزانيات الضيقة وكذلك إدانة الإنفاق العام غير المسؤول والدين العام المتزايد، لكن أثناء الوباء تم تجاوز هذا المبدأ إلى حدٍ كبير، وانخرطت الدول في إنفاق تحفيزي أكثر بكثير مما كانت عليه بعد أزمة عام 2008، حيث تحول دعاة التقشف إلى الحديث عن الحاجة إلى "دين جيد" يهدف إلى الاستثمار في المجال البيئي والانتقال الرقمي.
وأدت جائحة كورونا إلى قبول قيود مؤقتة على حرية الحركة والإنتاج والاستهلاك، خوفاً من عودة العدوى، تم ضغط الحقوق والحريات الدستورية، كل هذا وجد شرعيته باسم حالة الاستثناء المؤقتة، مع إيلاء اهتمام كبير لمسألة التحولات الاقتصادية طويلة المدى نتيجة الوباء مقارنة بالتفكير في التحولات المحتملة في السياسة، والتي يتم تفسيرها بأن الطبقة الحاكمة الغربية الحالية قد اختارت أن تتجاهل العواقب السياسية التي قد يجلبها الوجه الجديد للسلطة.

رابعًا: سيناريوهات المستقبل:

يقترح المشاركون في الكتاب ثلاثة سيناريوهات للخروج من هذه المرحلة الانتقالية، تتمثل فيما يلي (41):

1) السيناريو الأول: تكوين سلطة أكثر توجيهاً وتدخلاً، تحت مسمى "فرضية الاستبداد التكنوقراطي"، مع تعزيز الطبقة السياسية والبيروقراطية في السلطة، وهي ليست ديكتاتورية واستبدادية كالتي شهدها القرن الـ20، لكنها تفريغ تدريجي للمؤسسات الممثلة لصالح المؤسسات البيروقراطية والقضائية، مما يؤدي إلى حراك اجتماعي أقل.

2) السيناريو الثاني: احتمالية العودة غير المتوقعة للشعبوية، خاصة مع ضعف المؤسسة السياسية والبيروقراطية التي ظهرت بفعل الوباء، وظهور بعض التحالفات الكبيرة التي تمكنت من إخفاء الصراعات على مدى عشرين عاماً والسيطرة على الغضب السياسي والاجتماعي.

3) السيناريو الثالث: الطبقة الحاكمة تعي إلى أي درجة يعد نظام الحرية نظاماً هشاً، وكيف أن حالة الطوارئ الدائمة يُحتمل أن تكون خطيرة، فالاستقطاب والتشرذم الاجتماعي يجب أن يتم احتواؤهما لتجنب الاستبداد أو الفوضى، ولهذا السبب، من المهم بناء أشكال من التبادل تسمح لنا بالعيش مع أقليات متعددة من دون تمييز.
إن هذه السيناريوهات والتكهنات التي ابداها الباحثون ماهي إلا وجهات نظر حول كيفية الإستفادة من تطوراتها وتداعياتها وكذلك القيام بإجراء الإستعدادات اللازمة حول سبل السيطرة عليها من قبل الدول لتقليل إنعكاساتها على مسار العلاقات الدولية .

4 . الخاتمة والاستنتاجات

لقد شهد بداية العقد الثاني من الالفية الثالثة في القرن الحادي والعشرين تحولاً جذرياً ، يعتبر إنعطافة تاريخية مهمة في الحياة البشرية لم يشهده التاريخ الإنساني من قبل ، ألا وهو ولادة فايروس كورونا الذي إكتسح العالم الفسيح المترامي الأطراف من دون إستئذان ، نظراً لتعاظم قوته وجبروته وعنفوانه ونفوذه المتغلغل في كل مناحي الحياة ، حيث أن حجم كل ثمانمائة فايروس يساوي حجم شعرة واحدة فقط لاغير أو أقل من شعرة ، ولكن الدور والتأثير أكبر بكثير ،إذ بدأت في الصين أكبر دولة في العالم من حيث الكثافة السكانية ، ولكن إستطاعت السيطرة على الفايروس في غضون ثلاثة أشهر، ولكن بعد ثلاثة أشهر تحطمت أمامه أكبر قوة عظمى في العالم من حيث الإقتصاد والتكنولوجيا والقوة العسكرية ألا وهو الولايات المتحدة الأمريكية والضحايا في إزدياد مستمر. وهلمجرى.
إن ماحملته كورونا وما تحمله من مضامين يمكننا حصره في الأمور التالية من منظور العلاقات الدولية والدبلوماسية :

- إيقاف الحياة في أكثر من نصف الكرة الأرضية.
- الحجر الصحي الإجباري لأكثر من نصف سكان العالم.
- بلغ عدد المصابين بالفايروس أكثر من مليون شخص وتوفي منهم أكثر من مائة ألف شخص.
- تراجع سيادة الدولة وتزايد السيادة الإنسانية وتنامي السيادة الفردية وتعزيز السيادة الشخصية وتعميق السيادة الذاتية.
- إبتكار مصطلح الدبلوماسية الفايروسية متمثلة بدلوماسية الكورونا.
- بروز الدعوة إلى أنسنة العولمة.
- بلورة عولمات جديدة منها العولمة الصحية والعولمة البيئية.
- ظهورالأمن الإنساني كضمانة للأمن الجماعي و وسيلة لتعزيز الأمن الدولي.
- أكبر وسيلة لحفظ السلم والأمن الدوليين هو البقاء في المنازل.
- تنافر العلاقات الدولية نتيجة تباعد العلاقات الإنسانية.
- ترسيخ العدالة الديمقراطية.
- بلورة مفهوم الديمقراطية الإنسانية.
- إضعاف مفاهيم الديمقراطية وتقوية مفاهيم المركزية والشمولية.
- تقوية القدرات الصحية الشخصية وإنعكاسها كتقوية القدرات الحكومية والبينحكومية والدولية.

- حصانة الدولة مرهونة بمدى تقوية نظامها الصحي والوقائي.
- إضمحلال أنماط عديدة من الدبلوماسية منها الدبلوماسية الإجتماعية و الدبلوماسية السلوكية ودبلوماسية المناسبات.
- بلورة فكرة مزيد من الوقاية يساوي مزيد من الأمن على حساب قليل من الحرية.
- نشوء عالم متفكك بدلاً من عالم مترابط متشابك.
- إعادة هيكلة النظام العالمي برؤية صحية دقيقة.
- إقتصاد العالم وقوته الإقتصادية والعسكرية والتكنولوجية تقاس بجهاز ضغط الدم الطبي.
- إعادة هيكلة التغييرات المناخية وفق سلوك الفيروس.
- إنتعاش طبقة الأوزون.
- تنظيف البيئة العالمية.
- مقتل قاسم سليماني وأبو محدي المهندس إحدى تداعيات ظهور الفيروس.
- صفقة القرن وتبني إسرائيل فكرة إبتكار لقاح ضد الفيروس كأحد أوجه الفيروس.
- تطبيع العلاقات بين بعض دول الخليج منها الإمارات وقطر والبحرين مع إسرائيل.
- معاناة الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي والدول الصناعية الكبرى والمتقدمة وشللهم من كيفية الوقاية ومكافحة الفيروس.
- إعادة هيكلة الجغرافيا السياسية المعولمة من حيث الموقع والحدود.
- إندلاع الحرب بين روسيا وأوكرانيا في 2022/2/24 .
- تطبيع العلاقات الدبلوماسية بين السعودية وإيران في 2023/3/11 .
- إندلاع الحرب بين إسرائيل وحركة حماس في غزة في 7 / أكتوبر 10/ 2023 .
- تحطم طائرة الرئيس الايراني إبراهيم رئيسي في 2024/5/20 مما أدى إلى مقتله ومقتل وزير خارجيته حسي أمير عبداللاهيان في ظروف غامضة .
- تراجع الإرهاب وتقليص وتحجيم وإضعاف دوره.
- نسبة خسائر الإقتصاد خلال ثلاثة أشهر يعادل نسبة خسارة قرن.
- إندلاع الحرب العالمية أو الكونية بين طرفين ، الطرف الأول دول العالم برمتها ، والطرف الثاني الفايروس ذلك الكائن المجهول ، والنتيجة لحد الآن لاغالب ولا مغلوب.
- إعادة هيكلة ترتيب أولويات الدول من حيث الإهتمام بالبنية التحتية لحياة وصحة الإنسان ، بدلاً من الإهتمام البنيان والعمران.
- الإنسان أولاً الإنسان أولاً الإنسان أولاً وفوق كل إعتبار.
- الإنسان أصبح الشخص الرئيس والأساسي في القانون الدولي العام والفاعل المؤثرمن غير الدول والعابر للدول في العلاقات الدولية والدبلوماسية.
- إزدياد الوعي الكوني بتعقيم المعقم من أجل الإنسان والإنسانية.
- الإنتماء والولاء للإنسان.
- إعادة الإعتبار لقيم المواطنة.
- إزدياد الإهتمام بالمواطنة العالمية.
- العالم مسطح وشفاف أكثر.
- الأسرار العالمية لم تعد مخفية.
- الإعلام عملية مخابراتية في نشاط مستمر.
- المخابرات والإعلام وجهان لعملة واحدة.
- التطرف الديني في تراجع والإعتدال الديني في تزايد.
- بروز ظاهرة تسييس الدين وتدين السياسة.
- التسامح الدولي ورفع العقوبات أو التخفيف منها سمة العصر.
- بروز الشعبوية مكان الديمقراطية.
- ظهور سلطة الأيديولوجية بدلاً من أيديولوجية السلطة.
- ظهور وإنتشار الذكاء الإصطناعي بشكلٍ واسع.

فقط ما يتعلق بالعلاقات الدولية: ليس تنافر بل هشاشة العلاقات الدولية وفشلها في الاستجابة للتحديات ...
إذن عالم مابعد كورونا /المابعديات :يتميز بصياغة نظام جديد للعلاقات الدولية والمجتمع الدولي
ولكن هذا النظام لم يتبلور بعد ويحتاج وقت مابعد الصدمة التي نمر بها الان ...
ستتشكل اطر بعيدة عن الصياغات التقليدية المعروفة ...
لكن السؤال هل ستخدم الانسانية ...أستبعد ...لأن قوى السوق والإحتكارات و السلطات أكثر تنظيماً وقدرة على التكيف ...
أتوقع أفول أو على الأقل تراجع عصر النفط وهذا سيقود الى دعم الديمقراطية ...

تحديات وأسئلة أكثر بكثير من الاجوبة ..المهم إن عالم اليوم فشل في إدارة التحدي والأزمة بالمستوى المطلوب فراحت أطرافه تعمل بمفردها وهذا نقطة ضعف ...

5 . الهوامش

(1). (http://www.emro.who.int/ar/health-topics/corona-virus/about-covid-19.html)
(Last visit 14/4/2020- at 11:45 AM)

(2). (http://www.emro.who.int/ar/health-topics/corona-virus/protect-yourself-and-others.html)
(Last visit 14/4/2020 at 11:50 AM)

(3). (Ibd).

(4). (https://www.who.int/docs/default-source/coronaviruse/who-china-joint-mission-on-covid-19-final-report.pdf) (Last Visit 8/4/2019 at 10:30 AM)

(5). (Ibd).

(6). (https://www.who.int/ar/news-room/detail/15-08-1441-who-timeline---covid-19).
(Last Visit 9/4/2019 at 10:45 AM)

(7). (https://www.emro.who.int/ar/health-topics/corona-virus/index.html)(Last Visit 17/4/2024at10:49PM).

(8). (https://www.who.int/ar/WHO-2019-nCoV-UCC-systems-Pfizer-BioNTech-vaccine-2022.1-ara.pdf.)
(Last Visit 10/4/2019 at 12:00 AM)

(9). (https://www.who.int/ar/dg/speeches/detail/who-director-general-s-opening-remarks-at-the-mission-briefing-on-covid-19---9-april-2020) (Last Visit 9/4/2020 at 11:35 AM).

(10). https://www.who.int/ar/news-room/detail/20-08-1441-public-statement-for-collaboration-on-covid-19-vaccine-development-(Last Visit 14/4/2020 at 11:20 PM)

(11). https://iris.who.int/bitstream/handle/10665/351494/WHO-2019-nCoV-UCC-systems-Pfizer-BioNTech-vaccine-2022.1-eng.pdf?sequence=1(Last Visit 1/2/2022 at 2:30 PM)

(12). (https://www.who.int/ar/news-room/feature-stories/detail/8-things-to-know-about-pandemic-influenza).
(Last Visit 11/3/2020 at 11:30 PM)

(13) بعيداً عن بيل غيتس هؤلاء تنبؤوا بفيروس كورونا قبل عقود ولم ينتبه إليه أحد، موقع الجزيرة نت تاريخ الزيارة 2020/4/18 الساعة 2:30 مساءاً.
https://www.aljazeera.net/news/lifestyle/2020/4/18/

(14) (أرشيف مخطوطات المكتبة العثمانية في اسطنبول، تركيا) .

(15). (Dean Koontz, THE EYES OF DARKNESS, Berkley Book Publishing group, New York, 1981, P.177.).

(16). (Dean Koontz, THE EYES OF DARKNESS, OpCit, P.178.)

(17). (Dean Koontz, THE EYES OF DARKNESS, OpCit, P. 180.)

(18). (Dean Koontz, THE EYES OF DARKNESS, OpCit, PP. 181 - 182.)

(19). (Dean Koontz, THE EYES OF DARKNESS, OpCit, P. 185.)

(20). SLVYA BROWNE . Written with LINDSAY HARISON, PROPHECY – What the future Holds for you , NEW AMERICAN LIBRARY, DUTTON,USA, 2004 . P.214

(21). (هشام طالب ، بناء الكون ومصير الإنسان : نقض لنظرية الإنفجار الكبير حقائق مذهلة في العلوم الكونية والدينية ، ط 1 ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، 2006 ، ص 671) .

(22). (هشام طالب ، بناء الكون ومصير الإنسان : نقض لنظرية الإنفجار الكبير حقائق مذهلة في العلوم الكونية والدينية ، نفس المصدر السابق ، ص 672).

(23). SYLVIA BROWNE with LINDSAY HARISON , 2008, END OF DAYS Predictions and Prophecies about the End of the World, Published by Dutton, a member of Penguin Group(USA), Inc, 2008.P.117).

(24). (خطاب معمر القذافي في الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام 2009حول فايروس الكورونا)
(https://www.youtube.com/watch?v=UcC3L_cEHQA)

(25).(مجلة سيدتي العدد1684 السنة 32 – السبت 15 يونيو 2013 – 6 شعبان 1434 ، ص ص 120 – 124).

(26). بيل غيتس : الوباء القادم ؟ لسنا على إستعداد له .
(https://www.ted.com/talks/bill_gates_the_next_outbreak_we_re_not_ready/transcript?language=ar)

(27). بعيداً عن بيل غيتس هؤلاء تنبؤوا بفيروس كورونا قبل عقود ولم ينتبه إليه أحد، موقع الجزيرة نت تاريخ الزيارة 2020/4/18 الساعة 2:30 مساءاً. (مصدر سبق ذكره)
(https://www.aljazeera.net/news/lifestyle/2020/4/18)(OpCit,)(Last Visit 18/4/2020 at 2:30PM).

(28). بيل غيتس يقدم ثلاثة إجراءات لمواجهة فيروس كورونا ، موقع الحرة ، تاريخ الزيارة 2020/4/1 ، الساعة 11:00 صباحاً .
(https://www.alhurra.com/coronavirus/2020/04/01) (Last Visit 1/4/2020 at 11:00AM).

(29). (https://www.youtube.com/watch?v=B5smctuV7-Q)(Last Visit 12/4/2022 at 6:00 PM) Bill Gets

(30). بعد تنبؤه بظهوره.. بيل غيتس يكشق عن الدول التي ستحضر أكثر بكورونا، موقع الشرق، تاريخ الزيارة 2020/4/11، الساعة 12:48 مساءاً (https://al-sharq.com/article/11/04/2020)(Last Visit 11/4/2020 at 12:48PM).

(31). بيل غيتس يقدم ثلاثة إجراءات لمواجهة فيروس كورونا ، موقع الحرة ، تاريخ الزيارة 2020/4/1 ، الساعة 11:00 صباحاً .
(https://www.alhurra.com/health/2020/04/21)(Last Visit 1/4/2020 at 11:00AM).

(32). كوفيد-19: الأمين العام يوجه نداء لوقف إطلاق النار في جميع أنحاء العالم والتركيز "على المعركة الحقيقية في حياتنا" ، موقع الأمم المتحدة ، تاريخ انلزيارة 2020/3/23 الساعة 9:00 صباحاً
(https://news.un.org/ar/story/2020/03/1051882)(Last Visit 23/3/2020 at 9:00AM)

(33). الأمم المتحدة تدق ناقوس الخطر:" كورونا"يهدد البشرية برمتها، موقع سكاي نيوز العربية، تاريخ الزيارة 2020/3/25، الساعة 7:20 مساءاً.
(https://www.skynewsarabia.com/world/1331298)(Last Visit 25/3/2020 at 7:20PM).

(34). الأمين العام يطلق خطة لمعالجة الآثار الإجتماعية والإقتصادية المدمرة لكوفيد-19 ،موقع الأمم المتحدة ، تاريخ الزيارة 2020/3/31 الساعة 10:00 صباحاً.

(https://news.un.org/ar/story/2020/03/1052442)(Last Visit 31/3/2020 at 10:00AM)

(35). خبير أممي: يجب ألا توقف القيود المفروضة بسبب كوفيد-19 حرية التجمع وتكوين الجمعيات، موقع الأمم المتحدة ، تاريخ الزيارة 12: صباحاً.

(https://news.un.org/ar/story/2020/04/1053192)(Last Visit 14/4/2020 at 12:AM)

(36). د ، وليد عبدالحي ، مستقبل المشهد الدولي بعد الكورونا (كوفيد -19) ، موقع السبيل ، تاريخ الزيارة 2020/5/4 الساعة 9:00 مساءاً.

(https://assabeel.net/news/2020/5/4).(Last Visit 4/5/2020 at 9:00PM)

(37). إبراهيم القادري بوتشيش ، مابعد الكورونا.. صعود ناعم للشرق والتفكير في نظام عالمي بديل ، الجمعة 17 أبريل 2020 ، 4:45 مساءاً .

(https://www.hespress.com/orbites/467867.html) (Last Visit 4/5/2020 at 4:45 PM)

(38) . د . نادية هناوي، هل ينهي الفيروس العولمة كمرحلة؟جريدة الشرق الأوسط، العدد(15105) الإثنين 13 شعبان 1441هـ،6 أبريل،2020 الساعة: 11:00 مساءاً. (Last Visit6/4/2020 at 11:00 PM)(

(https://aawsat.com/node/2218406)

(39). د. مصطفى البرغوثي ، العالم بعد كورونا.. إما ثورة إجتماعية أو الفاشية ، تاريخ الزيارة 2020/4/20 الساعة : 22 . 33: 9 مساءاً .

(https://www.alhadath.ps/article/119046/). (Last Visit 20/4/2020 at 9:33 PM)) .

(40). سيناريوهات الخروج : ملامح " السياسات الإنتقالية "في النظام الدولي بعد الجائحة ، تاريخ الزيارة 2020/3/25 الساعة 6:00 مساءاً .

(https://futureuae.com/ar-AE/Mainpage/Item/7506)(Last Visit 25/3/2020 at 6:00 PM) .

(Politiques de l'interrègne: chine, Pandémie, Climat, le grand continent, Esprits du monde, Gallimard, 24 mars 2022)

(41). Ibd.

6 . قائمة المراجع والمصادر

أولاً – الكتب باللغة العربية :

1- هشام طالب ، بناء الكون ومصير الإنسان : نقض لنظرية الإنفجار الكبير حقائق مذهلة في العلوم الكونية والدينية ، ط 1 ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، 2006.

ثانياً – المجلات :

2- مجلة سيدتي العدد1684 السنة 32 – السبت 15 يونيو 2013 – 6 شعبان 1434 .

ثالثاً – الوثائق :

3-أرشيف مخطوطات المكتبة العثمانية في اسطنبول ، تركيا .

4-خطاب معمر القذافي في الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام 2009 حول فايروس الكورونا

رابعاً – الكتب باللغة الانكليزية :

5 - Dean Koontz, THE EYES OF DARKNESS, Berkley Book Publishing group, New York, 1981.

6 - SLVYA BROWNE . Written with LINDSAY HARISON, PROPHECY – What the future Holds for you , NEW AMERICAN LIBRARY, DUTTON,USA, 2004 .

7 - SYLVIA BROWNE with LINDSAY HARISON , 2008, END OF DAYS Predictions and Prophecies about the End of the World, Published by Dutton, a member of Penguin Group(USA), Inc, 2008.

خامساً – الكتب باللغة الفرنسية :

8 -Politiques de l'interrègne: chine, Pandémie, Climat, le grand continent, Esprits du monde, Gallimard, 24 mars 2022.

سادساً – المواقع الألكترونية :

9 - د.مصطفى البرغوثي ، العالم بعد كورونا.. إما ثورة اجتماعية أو الفاشية .

- https://www.alhadath.ps/article/

10- بيل غيتس يقدم ثلاثة إجراءات لمواجهة فيروس كورونا.

-https://www.alhurra.com/coronavirus/2020/04/01/

11. – دراسات جديدة لاتستبعد تسرب كورونا.

https://www.alhurra.com/health/2020/04/21/

12- بعيداً عن بيل غيتس هؤلاء تنبؤوا بفيروس كورونا قبل عقود ولم ينتبه إليه أحد.

https://www.aljazeera.net/news/lifestyle/2020/4/18/

13 – بعد تنبؤه بظهوره.. بيل غيتس يكشف عن الدول التي ستضرر أكثر بكورونا.

https://al-sharq.com/article/11/04/2020/

14- د . وليد عبدالحي ، مستقبل المشهد الدولي بعد الكورونا (كوفيد -19)

- https://assabeel.net/news/2020/5/4/

15 - د. نادية هناوي هل ينهي الفيروس العولمة كمرحلة؟جريدة الشرق الأوسط، العدد(15105) الإثنين 13 شعبان 1441 هـ، 6 أبريل 2020م.

. https://aawsat.com/node/2218406.

16. http://www.emro.who.int/ar/health-topics/corona-virus/about-covid-19.html.

17.http://www.emro.who.int/ar/health-topics/corona-virus/protect-yourself-and-others.html. 18.https://www.emro.who.int/ar/health-topics/corona-virus/index.html.

19 -سيناريوهات الخروج : ملامح "السياسات الانتقالية" في النظام الدولي بعد الجائحة

.https://futureuae.com/ar-AE/Mainpage/Item/7506.

20 – كوفيد- 19: الأمين العام يوجه نداء لوقف إطلاق النار في جميع أنحاء العالم والتركيز "على المعركة الحقيقية في حياتنا".

https://news.un.org/ar/story/2020/03/1051882.

21 – الأمين العام يطلق خطة لمعالجة الآثار الإجتماعية والإقتصادية المدمرة لكوفيد- 19.

https://news.un.org/ar/story/2020/03/1052442.

22 – خبير أممي : يجب ألا توقف القيود المفروضة بسبب كوفيد -19 حرية التجمع وتكوين الجمعيات .

https://news.un.org/ar/story/2020/04/1053192.

23.https://www.who.int/docs/default-source/coronaviruse/who-china-joint-mission-on-covid-19-final-report.pdf.

24. https://www.who.int/ar/news-room/detail/15-08-1441-who-timeline---covid-19.
25. https://www.who.int/ar/WHO-2019-nCoV-UCC-systems-Pfizer-BioNTech-vaccine-2022.1-ara.pdf.
26.https://www.who.int/ar/news-room/feature-stories/detail/8-things-to-know-about-pandemic-influenza.
27..https://www.who.int/ar/dg/speeches/detail/who-director-general-s-opening-remarks-at-the-mission-briefing-on-covid-19---9-april-2020.
28. https://www.who.int/ar/news-room/detail/20-08-1441-public-statement-for-collaboration-on-covid-19-vaccine-development.
29.https://iris.who.int/bitstream/handle/10665/351494/WHO-2019-nCoV-UCC-systems-Pfizer-BioNTech-vaccine-2022.1-eng.pdf?sequence=1.

30- إبراهيم القادري بوتشيش، ما بعد كورونا .. صعود ناعم للشرق والتفكير في نظام عالمي بديل .

https://www.hespress.com/orbites/467867.html.

31 - الأمم المتحدة تدق ناقوس الخطر:" كورونا"يهدد البشرية برمتها.

https://www.skynewsarabia.com/world/
32.https://www.ted.com/talks/bill_gates_the_next_outbreak_we_re_not_ready/transcript?language=ar.
33. 34. https://www.youtube.com/watch?v=UcC3L_cEHQA.
34.https://www.youtube.com/watch?v=B5smctuV7-Q.